الباب
الثانى
غيرة الرجال
بين إفراط وتفريط واعتدال

غَيْرَةُ الرِّجالِ

يقـول شـاعـرنا العـربي الغـيـور :

إذا وقَع الذُّباب على طَعـــام
رَفَعْتُ يَدِى ونَفْسى تَشْتَهِيه

وتجـتنبُ الأُسُـودُ وُرُودَ مَـاء
إذا كـانَ الكِلابُ وَلَغْنَ فِيـه!

غيرة العرب الجاهليين وموقف الإسلام منها!

* ماذا يراد بالغيرة ؟ ومتى تكون مقبولة بل واجبة؟

الغيرة : ضرب من ضروب الأثرة ، لابد منها لحياطة الشرف ، وصيانة العرض!.

* وهى مَثار الحميّة والحَفيظة فيمن لاحميةَ ولا حفيظة له....وإنما تُقبل – بل تجب – إذا خافَ المرء على شرفه أن ينثلم[1] ، وعرضه أن يُهان!.

* فأما أن تَقْتادَ الرجلَ بين آنٍ وآخر ، وتُفزعه فى كل موطن فهى خَبْل ووَسواس تُدْنى إليه الشرّ بدلا من إبعاده عنه!.

كيف كانت غيرة العرب الجاهليين؟

* ولقد مُنى العرب فى جاهليتهم باتقاد الغَيرة ، حتى جاوزوا بها طورها ، وحتى قادت فريقا منهم إلى قذف زوجته فى عرضها لهاجس اعتاده ، أو خَلْجَة من الشك نفذت إليه. فرفعوا خصومتهم ، واحتكموا فى أعراضهم إلى فريق الكهان ، والكواهن ، وهم بشر يقذفون الغيب برجم الظنون ، فيخطئون ويصيبون! ولم يسلم من ذلك الخاصة والعامة!

فقد تناقلت كتب الأدب «اعتذاريات» النابغة الذُّبيانى للنعمان بن المنذر حين وشى به الحاقدون عليه ، وقالوا:

إن النابغة شَبَّبَ[2] بالمتجردة امرأة النعمان، وكانت أكمل أهل عصرها جمالا!.

---

(١) يخدش ، ويجرح . انظر المرأة العربية فى جاهليتها وإسلامها ـ لعبد الله عفيفى. .

(٢) يقال : شبب بفلانة: تغزل بها ، ووصف محاسنها !

وسرت الأبيات على الألسنة ، وبلغت النعمان ! فهم بقتل النابغة ، ففر إلى جبلة بن الأيهم الغسانى فنزل عليه ، وأقام عنده!.

وظل النابغة يعتذر للنعمان بقصائدَ رائعة حتى ألان قلبه ، وعفا عنه ، ومما قاله:

حلفتُ فلم أتركْ لِنَفْسِك ريبةً
وليس وراء الله للمرءِ مَذْهَبُ
لَئنْ كنتَ قد بُلِّغتَ عنِّى خيانةً
لمبلغك الواشى أغَشُّ وأكذبُ

* وإن من أشدِ ضروب الوهم ، وأفدح أثقال الظلم ، أن ترى العربى يريد السفر ، فيعتمد إلى شجرة ، فيعقد بين غصنين منها ، فإن عاد ، وكان الغصنان على حالهما زعم أنها لم تخنه!وإلا فقد خانته! وذلك ما يسمونه بالرتيمة[1] !

كأن عرض المرأة...بل عرض الأسرة ...بل عرض الحى الذى نشأت المرأة بين ربوعه ، ودرجت بين مَدارجه مرتهن بغصنين ، تعصف بهما الريح ، أو تعبث بهما الأيدى ، فتفرق بينهما!

موقف الإسلام السمح من الغيرة!

فلما جاء الإسلام قطع أسباب تلك الغَيْرة إلا أن تكون عن علم وبينة فَرُوى: «**إذا علمتَ مثل الشمْسِ فاشْهد**»[2] .

فأما الارتياب من غير علم ، والتهمة لمجرد الشبهة فذلك ليس من الدين فى شىء ! ، وهى غيرة يبغضها الله ورسول ﷺ.

* وقد فرض الله – جل ذكره – على من رمَى امرأة فى عرضها أن يشهدَ أربَع شهادات بالله إنه لمن الصادقين فيما قال وادعى ، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين.

فإن لم يصدع بتلك الشهادات الخمس فعقوبته عقوبة قاذف المحصنات[3] يجلد ثمانين جلدة ، ولا تقبل له شهادة أبدا ، وهو عند الله من الفاسقين!.

---

(١) جاء فى المعجم الوسيط : الرتيمة : خيط يشد فى الإصبع أو الخاتم للعلامة أو التذكر.

(٢) رواه الحاكم بنحوه فى المستدرك (٤/٩٨) بلفظ : «ياعباس ، لا تشهد إلا على ما يضئ لك كضياء الشمس» وقال : صحيح على شرطهما ولم يخرجاه . (٣) المحصنات : العفيفات .

* ولدينا حديثان حدّث بهما البخارى عن النبى ﷺ يكشفان عن مواطن الغيرة : حقّها ، وباطلها ، وما ورد من حكم الله ورسوله فيها كما سبق بيانه فى مستهلّ هذا الكتاب

* **فالأول** : حديث المغيرة حيث قال:

قال سعد بن عُبادة : لو رأيت رجلا مع امرأتى لضربته بالسيف غير مُصْفَح - أى : غير مائل عرضا ؛ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال:

«**أتعجبون من غَيْرة سعد ؟ والله لأنا أغيرُ منه ، والله أغيرُ منى ! ومن أجل غيرة الله حرم الفواحشَ ما ظهر منها وما بطن**[1]».

* **وأما الثانى** : فحديثه عن أبى هريرة قال:

جاء أعرابى فقال : يارسول الله ؛ إن امرأتى ولدت غلاما أسود .

فقال : «**هل لك من إبل ؟**» قال : نعم.

قال : «**ما ألوانها ؟**» قال : حُمْر.

قال : «**أفيها جمل أورق** (*) **؟**» قال : نعم.

قال : **فأنّى كان ذلك؟!**.

قال : أراه عرق نَزَعه.

قال : **فلعل ابنك هذا نزعه العرق**[2] .

* فانظر كيف شرع النبى ﷺ «**شرْعَةَ الغَيْرة**» وضّاحة صافيةً لا مجال فيها لنزعات الوهم ، وعثرات الوساوس ، وكيف اتقاها ، ووقى الناس شرَّها من التباس الشك واحتكام الظنون!.

* إن فى دفع النبى ﷺ شر التهمة عن امرأة الأعرابى لدليلا لايقبل الشك على براءتها ، وطهارة عرضها ، فما كان الرجل فاعلا لو كان فى جاهليته ، ولم يهتد بقبس من نور النبوة؟! ليس بين يديه آنذاك إلا أن يسيل الدم أنهارًا ، أو أن يتلمس العرّافين والمنجمين ليقولوا كلمتهم وهم الكاذبون! وليس وراء الحالتين إلا عار الدهر ، وذل الأبد!.

---

(١) إرشاد السارى ج ٨ ص ١٢٢ ـ١٢٣ .

(*) أورق : ما فى لونه بياض إلى سواد .

(٢) إرشاد السارى ج ١٠ ص ٣٨ طبع بولاق . أى : أن أصلا من أصول نسبه جذبه إليه .

رأى الإسلام فى الإفراط فى الغيرة

* لذلك تحامى المسلمون مواطن الظن والتهم ، وعدُّوا الإفراط فى الغيرة سمة من سمات الحمق والطيش ، لا يستحق صاحبها أن يسود أو يطاع!

ولهم فى نبينا ﷺ خير أسوة ، فقد تذرع بالصبر حتى أنزل الله براءة السيدة عائشة فى آيات تتلى ! وسلط الضوء على الذين جاءوا بالإفك المبين!

ولقد روّضهم النبى ﷺ ، وعلمهم أن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ، فيوسوس لهم ، وبعض الظن إثم.

السر فى غيرة الرجل على المرأة!

* يحس الرجل عندما يحب امرأة ، ويطلب يدها ، ويجتمع شملهما فى الحلال أنها أصبحت له لا ينافسه فيها منافس بعد أن تحمل اسمه ، وتنتمى إليه ، وتصير أم أولاده!

* وقد يعتريه حينئذ ضرب من الهوس الجنسى يلقى فى روُعه أن امرأته لا مثيل لها ، وأن أنظار الكثيرين تكاد تلتهمها ، ويرى أن أقل تساهل أو تهاون فى الذود عنها يعرضها لمخاطر ، ويسىء إليه وإليها ، ومن هنا تنشأ الغيرة ، حيث يستولى عليه هذا الشعور ، فيوقظ خياله ، ويلهب شكوكه ، ويضرم وساوسه ، ويصبح كمخلاء الجاحظ لا يهنأ له عيش ، ولا تطيب له حياة ، ولا يستريح له بال إلا إذا اطمأن على أعز ما يملك صبحا ومساء ، وليلا ونهارا من نظرات المتطفولين!

* وهكذا يصبح الغيور ضعيف الثقة بتأثيره ...ضعيف الثقة بعقله وذكائه .. ضعيف الثقة بقدراته على الاحتفاظ بما فى حوزته!

* ومن هنا تتأجج نيران الغَيرة فى صدره معتقدا أنه بالغيرة يتفوق ، وبالغيرة يحرص ... وبالغيرة يصون ... وبالغيرة يكون!

ألا وإن خير الأمور الوسط كما يقولون ، فالشىء إذا زاد عن حده ، انقلب إلى ضده ، وجاوز حد الاعتدال ، فأصبح حالة مرضية مبعثها الانهيار والاختلال ! ومصيرها الاعتلال ، وسوء الحال والمآل!.

الغَيور ، وبخلاء الجاحظ!

* أَلاَ ما أبعدَ الفرق بين البخيل والغَيور!

* فالبخيل يحرم نفسه وأهله ، ويجد فى الحرمان متعة ما بعدها متعة!

* أما الغيور فإنه يمعن فى التمتع بامرأته ، ويؤرقه أن تكون هذه المتعة ملكا للآخرين!

* ومن هنا يضطرب فكره ، ويحار فى أمره ، ويخاف بل ويرتعد...

* ويدفعه ذلك إلى نوع من الاستبداد والتنكيل ...فإذا هو:

* يحب امرأته ، ثم يضطهدها!

* يتعلق بها ثم يعذبها...

* يجيبها إلى مختلف رغباتها ، ثم يتقاضاها الثمن غاليا من صفوة مشاعرها وأحاسيسها ... بل وكرامتها أحيانا!!

هذا ، ولا ينحصر مجال الغيرة على العرض بل تتسع مظلتها لتشمل كل ما تعنيه كلمة «**الحِمَى**» وكل ما يجب على المرء أن يحميه..

الغَيرة على الحق والمصلحة العامة!

* وتقف الغيرة على الحق والمصلحة على قدم المساواة مع الغيرة على العرض!

ولأمر مّا كان الإمام العادل الغَيُورُ على الحقوق والمصلحة العامة على رأس السبعة الذين يظلهم الله بظله ويشملهم برحمته يوم لاظِلَّ إلا ظلُّه!

* ومِن الخطر على الحقوق والمصالح والمال والعِرْض والأرض أن يتولى أمرَها من «حرِم الغَيرة عليها» ؛ والناس على دِين ملوكهم! فكم من حقوق ضيّعت ، ومصالحَ أُهملت على يد من لم يذق للغيرة طعما!

وما ظنك بقضية «**الاعتداء على العِرض**» إذا أسندت إلى من نشأ فى بيئة لا تعرف للعفاف سبيلا؟!

وماذا يكون العمل فى قضية «**الاعتداء على الدين**» إذا وضعت بين يدى من لا يرى له حرمة ، ولا يرعى للأمة التى تعتصم به حرمتها؟.

* وكيف تدار مدرسة لايغار مدرسوها على العلم ورجال الغد المأمول ، ومستقبل البلاد بل يؤثرون الحياة الدنيا بما فيها من رقص ولهو ولعب ، وقد قيل فى هذا السبيل:

إذا كـان ربّ البـيت بالدُّفّ مُـولَعًـا
فـشـيـمـةُ أهلِ البـيتِ كلّهم الرقصُ

* وقيل:

وينشـــأ ناشـيءُ الفِـتـيَـــان منّا
على مـــا كـــان عـــوّدَه أَبُوهُ

* وقيل:

إذا الإيمانُ ضَـــاعَ فـــلا أمـــانٌ
ولا دُنْيـــــا لمن لـم يُـحْيِ دينـا!

* إن الأمة ذات الخلق والدين التى تعتصم بحبل الله المتين لايستقيم أمرُها إلا لمن يغار علىِ حماها ، ويرعى الله فى حكمها.

* إن الغيرة على الحق والمصلحة العامة ما غلبت على نفوس إلا استقامت سيرتها ، وعلت فى الأمم سمعتها، وحسنت فى كلتا الحياتين عاقبتها!

* فعلينا أن نغرسَ - بالقدوة الحسنة - فى نفوس النشء - الغيرةَ على الدين والعرض .. والأرض والسمعة والكرامة .. وصناعة بلادنا .. ومنتجات أرضنا ، والنابغين ، والنابهين من شبابنا .. وعلمائنا وزعمائنا .. وقادتنا .. وأطبائنا .. ومهندسينا الشرفاء! وكلِ الذين يصنعون الحياة على أرضنا الطيبة ! ، ولا نسمح لأحد أن يتناولهم ، أو ينقص من قدرهم ، أو يبخسهم أشياءهم! فهل آن الأوان لكى تتخلى تلك الشرذمة التى لا تجد على ألسنتها إلا كلمة «**أنا مالى**» أو «**أنا وبعدى الطوفان**»؟! عن ذلك المبدأ الذى يسرع بزوال الأمم؟ وهل آن الأوان لتصبح «**حماية الحمى**» كما كانت قديما تعيش فى القلب ، ويعمر بها الوجدان ، ويتغنى بها كَل لسان؟!

أنا يَا مـــــصـــــر فـــــداك
بدمى أحـــــمى حـــــمـــــاك!

هل آن الأوان أن نغار على الحقّ المضيَّع؟!
وهل آن الأوان أن يقول كل منا الحق ولو كان مُرا؟

هل آن الأوان أن نغار على شوارعنا وحدائقنا ونيلنا وسمائنا وأجوائنا ونصونها من التلوث؟... التلوث الفكرى والتلوث السمعى .... والتلوث البصرى..

هل آن الأوان أن نغار على صحتنا ونقول كلمتنا لمن يسهمون فى تلويث الطعام والماء والهواء وغش الدواء؟

أين أهل الغيرة على الشباب أمل الأمة فى غدها، وقد تواطأ عليه أعداء البلاد لتدميره جسميا ، ونفسيا ، وعقليا حتى لا تقوم له قائمة!!

هل من غيرة على الوطن العربى الذى تُنتقصُ أطرافُه ، وتُسْلَبُ خيراتُه ، ويُقضى الأمر فى غيابه ، ويراد له أن لا تقوم له قائمة ، وألا تتوحد كلمته؟!

أين نحن من «كوسوفا» بعد أن أُفرغت من أهلها على مرأى ومسمع العالم لمجرد أنهم طالبوا بحقهم فى حياة حرة كريمة شريفة! بل أين نحن من الشيشان؟

وأين الغيرة فى الله ولله على الدين ، والأرض ، والعرض؟!

أغير هذه الأمة بعد نبيها!

كان أبو بكر الصديق – رضى الله عنه – أغيرَ هذه الأمة بعد نبيها ﷺ.

* ويقول الأستاذ العقاد فى كتابه : «**الصدّيقة بنت الصديق**» :

كانت آداب الرجال والنساء فى بنى تيْم مثالا للرعاية التى تظفر بها المرأة العربية فى بيئة السيادة وبيئة الحضارة.

ولكنها لم تزل عربية فى قرارها ، ولم تنقطع عن آداب الأمة التى جعلت عرضها أحق شىء بالحماية .

* فكان أبو بكر نفسه مثلا من أمثله الغيرة بين أهله وقومه ، وقد قال ابن سيرين : كان أغير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر رضى الله عنه.

* وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن نفرا من بنى هاشم دخلوا على زوجته «أسماء بنت عميس» ، فكره دخولهم عليها ، وشكاهم إلى النبى ﷺ فقام على المنبر ؛ فقال: «**لا يَدْخُلَنّ رجل بعد يومى هذا على مُغيَّبَة إلا أن يكون معه رجل أو اثنان**[1] ».

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه باب تحريم الخلوة بالأجنبية (رقم٢٢) .

* ولما شبب عمر بن أبى ربيعة بعائشة بنت طلحة التيمية تجمع فتيان تيم (**قبيلة أبى بكر**) فأنذروه لئن تعرض لها بعد ذلك لنقتلنه شر قتله ، فأقسم لا عاد.

وتتجلى غيرته على الإسلام حين واجه المرتدين حتى صدق فيه قول عمر- رضى الله عنهما - : «لولا أنت لهلكنا».

غيرة الزبير بن العوام على أسماء بنت أبى بكر

تحكى أسماء بنت الخليفة الأول ما كان من أمر زواجها فتقول:

تزوجنى الزبير، وماله فى الأرض مال، ولا مملوك (عبد)، ولا شىء غير فرسه.

قالت: فكنت أعلف فرسه ، وأكفيه مئونته ، وأسوسه ، وأدقّ النوى لناضحه[1] ، وأعلفه ، وأسقيه الماء ، وأخرز غَرْبَه (دَلْوَه) ، وأعجن!

ولم أكن أُحْسن إعداد الخبز ، وكانت لى جارات فُضْليات من الأنصار ، فكن يتولين مساعدتى. قالت : وكنت أنقل النوى من أرض الزّبير - على رأسى وكان الرسول ﷺ قد أقطعه تلك الأرض ! وهى على ثلثى فرسخ[2] .

حياؤها ، وغيرة زوجها:

قالت : فجئت يوما - والنوى على رأسى - فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه ، فدعالى ثم قال:

إخ إخ[3] ؛ ليحملنى خلفه على ظهر بعيره ، فاستحييت أن أسير مع الرجال ، وذكرت الزبير وغيرته!

قال : وكان من أغير الناس!

قالت : فعرف رسول الله ﷺ أنى قد استحييت ، فمضى فجئت الزبير ، فقلت: لقينى رسول الله ﷺ ، وعلى رأسى النوى ، ومعه نفر من أصحابه ، فأناخ[4] لأركب معه ، فاستحييت ، وعرفت غيرتك!

فقال : والله لَحَمْلُك النوى كان أشدَّ علىّ من ركوبك معه!

---

(١) الناضح : الدابة يستقى عليها .

(٢) الفرسخ : ثلاثة أميال ، والأميال منها البرى ، والبحرى ، فالبرى : ١٦٠٩ من الأمتار ، والبحرى بما يساوى ١٨٥٢ من الأمتار.

(٣) إخ إخ : كلمة تقال عند الرغبة فى إناخة البعير . وهى اسم صوت يناخ به البعير ، وتفتح همزتها . وبمعنى كخ ، أى اطرح ، والمعنى الأول هو المرأة هنا .

(٤) أناخ الجمل أبركه.

قالت : حتى أرسلَ إليّ أبو بكر بعد ذلك بخادم ، فكفتنى سياسة الفرس[1] ، فكأنما أعتقنى!

قال المناوى فى الفيض : «وأشرف الناس وأعلاهم همة أشدهم غيرة ؛ فالمؤمن الذى يغار فى محل الغيرة قد وافق ربه فى صفة من صفاته ، ومن وافقه فى صفة منها كانت تلك الصفة آخذة بزمامه ، وأدخلته عليه ، وقربته منه» .

فأين كثير من رجال اليوم – الذين حُرِمُوا الغيرة على نسائهم وبناتهم وأخواتهم – من الزبير بن العوام؟!

الغيرة التى دفعت المسلمين إلى غزو بنى قينقاع

جرت «**غزوة حصار بنى قينقاع**» بعد أن عاد المسلمون من معركة بدر الكبرى منتصرين برغم ما قام به اليهود من تأليب للمشركين على النبىﷺ!

ولم يسرع المسلمون – بعد عودتهم منتصرين – إلى حرب بنى قينقاع إلا بعد أن حذر النبى ﷺ اليهود مِمّا يقومون به من أعمال عدائية ، وكان ردهم عليه:

«لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ، أما – والله – لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس»!

وقد جرى بعد هذا حادث دفع المسلمين إلى غزو «بنى قينقاع» وحصارهم.

وهذا الحادث جرى فى سوق بنى قينقاع فى المدينة عندما ذهبت امرأة مسلمة تبيع بعض حليها لتاجر يهودى!

فقالت له : أريد أن أبيع هذه الحِلْية ، كم تدفع فيها؟

فأجابها التاجر اليهودى : اجلسى ...اجلسى أمامى حتى أراها ، وأقدر ثمنها!

ما أجملها من حلْية!

يبدو أنك جميلةَ بلاشك ، رغم هذا الحجاب الموضوع على وجهك!

وكان عنده جمع من اليهود فقال أحدهم : اكشفى عن وجهك ... أرينا وجهك!

---

(١) سياسة الفرس : القيام عليه ، ورعايته ، وتأديبه . والحديث أخرجه البخارى فى صحيحه (رقم ٣١٥١).

فقالت المرأة : لا....لا....ابعد عنى!

وهمس أحدهم للتاجر اليهودى ، حتى لاتسمعه المرأة:

يا أخى ، ياتاجر الحُلىّ ، اعقد طرف ثوبها إلى ظهرها حتى إذا قامت رأينا عورتها!

فقال اليهودى للمرأة : مادمت تأبين إظهار وجهك ، فلن أشترى منك شيئا ، نرى الجمال أولا ، ثم أشترى!!

فقالت له المرأة : خسئت لن أبيع ، ولن تشترى .

التاجر: هيا اذهبى...

فقالت المرأة : عليكم لعنة الله ! ، وهمت قائمة!

وهنا ضحك التاجر وأصحابه ، وقال لها أحدهم لقد رأينا كل شىء!

شكرا لك يا أخانا التاجر لقد أمتعتنا!

وهنا ظهر فجأة مسلم ، واندفع متألما وهو يصرخ :

أُسْترى نفسك ، ما هذا الذى فعلتموه بها وهى لاتدرى أيها الأوغاد؟!

أيها الأنذال ، خسئتم ، ثم طعن أحدهم فمات!

فقال اليهودى : قتلت صاحبنا أيها المسلم!!

ودارت معركة بينهم ؛ فاستغاثت المرأة:

النجدة ... النجدة ... أنجدونى.. أنجدونى ....أنجدونا يا معشر المسلمين ... أنجدونا من اليهود!

وأسرع اليهود إلى حصونهم يختبئون فيها - كعادتهم- عندما أدركوا أن ماجرى سيكون المسمار الأخير فى نعشهم ، وأن محمدا ﷺ لن يتركهم فى هذة المرة!

وفعلا ، فقد جرى ما قدرته يهود بنى قينقاع ، وجرت أول غزوة ضد اليهود يقوم بها محمدﷺ وأصحابه غيرة على الشرف والكرامة ، ودفاعا عن الإسلام والمسلمين ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾[1] [المنافقون : ٨] .

إن العبث اليهودى بالمقدسات الذى يتكرر يوما بعد يوم فى عصرنا نحن المسلمين ، ما كان له أن يحدث ، وفينا غيرة المسلمين الأوائل على الدين ...

(١) تاريخ الإسلام للذهبى.

والأرض ... والعرض! فهل آن لنا أن نغار فى الله ؟!

هل آن لنا أن نغار من سياسة الكيل بمكيالين ، ونقول لصانعيها : لا ! .. كفوا أيديكم عنا !! ، فقد أعزنا الإسلام!!

غضبة الشعب للمرأة وللكرامة!

من أعجب ما يؤثرمن غضبة الشعب للمرأة[1] ، وأنفته لها ، وغَيْرَته عليها ، وثورته من أجلها ....أن السلطان «**عبد الحق بن سعيد المرينى**» لما لم يجد غناءً فى وزارته استعان برجلين من اليهود!

فكانت رياستهما محنةً على الأمة ، وبلاء على العباد ، فلم يدعا وسيلة من الخسف والأذى فى الأرواح والأموال إلا اتخذاها فى غير حرج ولا هوادة ، وصبرت الأمة لهذه النازلة ، وراضت نفوسها على احتمال تلك الكارثة ، وكان احتمالها بالغا ، وصبرها جميلا!!

كان ذلك حتى ذاع فى البلاد أن أحد اليهوديين قبض على امرأة شريفة ، وأمر بضربها بين يديه!

وهنا اشتعلت النار الخابية ، واستطارت النفوس الوادعة، وتمشت رجالات فاس بعضهم إلى بعض!

فاجتمعوا عند «**خطيب القرويين**» الفقيه : «أبى فارس عبد العزيز بن موسى» وهنالك ائتمروا فيما بينهم على الفتك باليهود ، وثلّ عرش المستعين بهم ، وولّوا من بينهم أحد أشرافهم ، وبايعوه على الثبات معه حتى الموت ، وأحاطوا باليهود لتأديبهم على ما اقترفوه ، وإعطائهم درسًا فى رعاية الحرم ، واحترام المشاعر.

واستعان عبد الحق بجنده ، فتنكروا له ، وخالفوا عليه ، وقُتلَ اليهوديُّ الضارب المرأة العربية طعنا بالرمح بين يديه!وسيق هو إلى فاس ، وطيف به مشهرا فى أحيائها، وأزقتها ، وتكاثرت عليه الجموع تريد أن تفترسه ، ثم قدم إلى مصرعه فقتل!

وانتهى بموته عهد ، وانقرض بنهايته ملك وسلطان!

---

(١) انظر كتاب المرأة العربية فى جاهليتها وإسلامها للأستاذ عبد الله عفيفى ج٣ تحت عنوان : « المرأة المغربية » . بتصرف.

كانت المرأة تأنفُ ، ويؤنَفُ لها ، وتغارُ ويُغارُ عليها إلى أن تُؤْثر ورود الموت على الذل والهوان! وستظل صيحة العزة تدوى فى الأذان : «**وإسلاماه**»!!

ومما رواه «ابن خلدون» :

أن جيش «بنى مرين» قصد إلى السلطان «**أبى زيان بن عثمان**» وأخذ ينتقص أطراف بلاده ، ولم يقو جيشه عليه!

قال ابن خلدون : فبينا «السلطان» وأخوه «أبو حمو» جالسان فى بعض خاصتهما دخلت «دعْد» قهرمانة[1] القصر ، وقالت: يقول لكم حظايا[2] قصركم ، وبنات زيانَ حرمُكم:

مالنا وللبقاء ، وقد أُحيط بكم ، وأسَفَّ [3] عدوُّكم لالتهامكم ولم يبق إلا فُواقٌ ناقةٍ[4] لمصارعكم!

فأريحونا مَعَرّةَ السَّبْى ، وقرِّبونا إلى مصارعنا ، وأريحوا أنفسكم فينا ، فالحياةُ فى الذل عذاب ، والوجود بعدكم عدم!

فالتفت أبو حمو إلى أخيه السلطان ، فقال:

قد صدقتك الخبر ، فما تنتظر بهن؟!

قال : ياموسى ، أرجئنى ثلاثا لعل الله يجعل بعد عُسْرٍ يُسْرًا.

فغضب «أبو حمو» وأنكر عليه تأخير ذلك ، وقال:

إنما نحن – والله – نتربص بهن وأنفسنا المعرة ، وقام عنه مغضبا ، وأجهش السلطان بالبكاء ؛ فبينما القوم فى مجلسهم هذا دخل حرسىّ ، فقال:

إن «**السلطان يوسف بن يعقوب**» ملك بنى مُرّين قتل الساعة ، وبمقتله انفض جيشه ، وذهب عن أبى زيان وعن قومه ما كانوا فيه من خوف وإشفاق!

ولولا ذلك لذبحوا نساءهم ، وبناتهم وحظاياهم ، بُقْيَا على العِرض ، وأنَفةً من العار ، وغيرة على الكرامة!

فأين نحن الآن من الغيرة للمرأة وللكرامة؟! لقد شغلنا أنفسنا بغيرة

---

(١) القهرمانة : مدبرة البيت ، ومتولية شئونه ، ومنه القول المأثور : « المرأة ريحانة ، وليست قهرمانة »

(٢) الحظايا : جمع حظية ، والحظية : المرأة التى تفضل على غيرها فى المحبة .

(٣) اقترب ، وطلب الدنىء من الأمور .

(٤) فُواق ناقة – بفتح الفاء – الوقت بين الحلبتين ، والوقت بين قبضتى الحالب للضرع . كناية عن نفاد الوقت .

ممقوتة .....واستولى علينا الحقد والحسد ، وراح بعضنا يهدم بعضا!

مـــتى يبلغ البنيـــانُ يومًـــا تمامَـــه

إذا كنت تبنى وغـــيـــرُك يَهـــدِمُ؟!

فما سر تلك الغيرة الممقوتة بين الطوائف والعلماء وأرباب المهن؟

تعال نبحث عن السر..!

أين الغَيْرَةُ الحكيمة المتبصرة؟!

أراها تتراجع – على الساحة – أمام الغيرة المدمرة ، فما سر ذلك ياترى؟!

يتساءل الشيخ الغزالى – رحمة الله عليه[1] – عن السر وراء ذلك الحقد الدفين ، وتلك الغيرة المدمرة فى مجتمعنا فيقول:

«رذيلة الحسد قديمة .. على الأرض قدم الإنسان!

ما إن تكتمل خصائص العظمة فى نفس ، أو تتكاثر مواهبُ الله لدى إنسان حتى ترى كلّ محدودٍ أو منقوص يضيق بما رأى ، ويطوى جَوانحه على غضبٍ مكتوم ، ويعيش منغَّصًا لا يريحه إلا زوال النعمة ، وانطفاء العظمة ، وتحقق الفشل!

فما السر إذن؟

* السر أن «الدميم» يرى فى الجمال تحدِّيا له!

* و«الغبى» يرى فى الذكاء عدوانا عليه!

* و«الفاشل» يرى فى النجاح إزْراءً به .. وهكذا!

ثم يقول:

ومنذ أربعة عشر قرنا ظهر محمد بن عبد الله ﷺ فى العرب وكان أصحاب الرياسات الدينية من الأحبار والرهبان قد أحسوا نبأه ، والتفوا به ليستوثقوا من صدق دعوته وصحة رسالته!

وسَرعَانَ ما أيقن القوم أنهم أمام رسول من رب العالمين ؛ لكنهم آثروا الكتمان!

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ

(١) فى كتابه : جدد حياتك .

﴿ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦) ﴾ [البقرة : ١٤٦] .

إنه الحسد !

وإنها الغيرة الشخصية من ذلك النبى الأميّ...

فلو تم اختيار «نبى» من بين أولئك الرهبان المحترفين لقال أحد المسنين : أنا أسَنُّ منه !

ولقال ثان : أنا أسبق منه فى الخدمة..

ولقال ثالث: إن كان عالما فليس إداريا ، وإن كان إداريا فليس بعالم مثلى !

ولقال رابع: إنه يخطئ فى إقامة الطقوس.

ولاتّهمه خامس بكذا...

وسادس بكَيْتَ !

ثم يجتمع عليه المتنافرون ليشلّوا حركته ، ويُحْبطوا رسالته !وفى مواجهة هؤلاء وأولئك أمر الله نبيه ﷺ أن يستعيذ من شرور الحاسدين:

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥) ﴾ [الفلق :١-٥] .

وأمر نبيه ﷺ بالصبر فقال له:

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (٦٠) ﴾ [الروم : ٦٠]

وأقول : إن باب التنافس الشريف مفتوح على مصراعيه لمن شاء أن يلقى الله بقلب سليم.

وديننا الحنيف يفتح باب المسابقة فى الخيرات ، ويثنى على الذين سارعوا فى ميادين الخير ، ويدعونا أن نتعاون على البر والتقوى ولا نتعاون على الإثم والعدوان.

فمتى تكون المنافسة والمسابقة مرغوبا فيهما؟ وكيف نعمل على إطفاء هذه النيران قبل خراب الأوطان ؟ ومتى نعمل بروح الفريق قبل أن يضيع من أقدامنا الطريق ؟!

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم !

* جاء فى مفردات الراغب الأصفهانى:

المنافسة: مجاهدة النفس للتشبه بالأفاضل واللحوق بهم من غير إدخال ضرر على غيره.

قال تعالى : ﴿ **وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦)** ﴾ [**المطففين**: ٢٦].

وهذا كقوله سبحانه : ﴿ **سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ (٢١)** ﴾ [**الحديد**: ٢١].

* **أما المسابقة**: فأصل السبق : التقدم فى السير كقوله تعالى :﴿ **فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤)** ﴾ [**النازعات**: ٤].

ويستعار السبق لإحراز الفضل والتبريز ، وعلى ذلك ﴿ **والسابقون السابقون** ﴾[**التوبة** :١٠٠]. أى المتقدمون إلى ثواب الله وجنته بالأعمال الصالحة ، نحو قوله:﴿ **أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١)** ﴾ [**المؤمنون**: ٦١].

* وجاء فى كتاب «تهذيب الأخلاق» ليحيى بن عدى:

والمنافسة : منازعة االنفس إلى التشبه بالغير فيما يراه له .

وهو يرغب فيه لنفسه ، والاجتهاد فى الترقى إلى درجة أعلى من درجته.

وهذا محمود إذا كانت المنافسة فى الفضائل والمراتب العالية ، وما يُكسب مجدا وسؤددا.

وما أصدق قول القائل :

فتشبّهوا إن لم تكونوا مثلَهم

إن التشبّه بالرجال فلاحُ

فأما فى غير ذلك من اتباع الشهوات ، والمباهاة باللذات ، فمكروه جدا.

وبعد ، فما أحرانا أن نعيش مع ألوان من غيرة الرجال بين إفراط وتفريط ، فبضدها تتميز الأشياء ومن لا يعرف الشر يقع فيه!

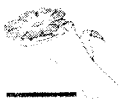

نماذج من غيرة الرجال

بين إفراط ، وتفريط ، واعتدال

لا أرضاك لها !

* خطب رجل إلى عبد الله بن عباس يتيمة كانت فى حِجْرِه[1] ، فقال له: لا أرضاها لك!

قال: ولم ذاك؟

قال : لأنها تشرف[2] ، وتنظر ، وهى مع ذلك بَرِيّة !

فقال : إنى لا أكره ذلك!

فقال ابن عباس: أما الآن ؛ فإنى لا أرضاك لها[3] !

أغيرة وجبنا؟!

* وهذا رجل آخر تخلف عن قتال العدو الذى اعتدى على حماه جُبنا منه، وترك قومه يقاتلون العدو!

فرأى امراته تتابع القتال الدائر ، فنهرها وضربها ، وإذا هى تقول له ذلك المثل السائر : «**أغَيْرةً وجُبْنًا؟!**»

* ومثل هذا الجبان الذى لا يغار على حماه يصدق عليه قول القائل:

أسَدٌ عَلَىَّ وفى الحروبِ نَعَامةٌ ؟!

ويا له من جبان!

إفراط فى الغيرة!

* كان عقيل بن علقمة المزنى جافيًا مفرط الغَيْرة ، ويقول العُتبى:

سمع عقيل بن علقمة المزنى ابنة له ضحكت ، ثم شهقت فى آخر ضحكها[4] !

---

(١) فى كنفه وحمايته . بفتح الحاء وكسرها . (٢) تطل من البيت لتنظر المارة ، أو من وراء ستار تنظر الحاضرين . برية : بريئة خففت همزتها . (٣) لعدم محافظته على حريمه ، وقلة غيرته !

(٤) الضحكة الطويلة ذات الذيل مثيرة تطْمِع كل من فى قلبه مرض !

فما كان منه إلا أن غلت الدماء فى عروقه ، واخترط سيفه[1] ، وحمل عليها ، وهو يقول:

فـــــرقت إلى رجلٍ فَـــــرُوقُ
من ضـــحكٍ آخـــرهُ شـــهـــيقُ[2]

فاستغاثت بإخوتها ، فحالوا بينه وبينها قبل أن تسيل دماؤها!

وهذا يَغَارُ مِنْ نَفْسِه ويحسد أهل محبوبته على نظرهم إليها!

* قال أبو تمام الطائى:

بنفـــسى من أغَـــارُ عليـــه منّى
وأحـــسُـــدُ أهلَه مِنْ نَظَرٍ إليـــه[3]
ولو أنى قَـــدَرْتُ طَمَـــسْتُ عَنْه
عـيُـونَ الناسِ من حَـذَرِى عليـه[4]
حـــبـــيبٌ بَثّ فى جِـــسْـمى هَواهُ
وأمـسك مُـهـجـتى رهنًا عليـه[5]
فـــروحى عنده ، والجـــسم خـــالٍ
بـلاَ رُوحٍ ، والـقـلـبُ فـى يـديـه!

وهذا يصونها عن نفسه وعن جميع الناس!

* ويقول على بن نصر:

أفـــاتكُ أنتِ فـــاتكةٌ بقلبى
وحُـسْن الوجـه يَفْـتك بالقلوب[6]
أصـونُك عن جـمـيع الناسِ يَا مَنْ
بُليتُ بهـا ، فـأضْـحَتْ من نَصـيبى
وعن نفـسى أصـونُك ليتَ نفـسى
تقـيك من الحـوادثِ والخُطوب[7]

---

(١) اخترط سيفه : سله من غمده وشهره : وحمل عليها : هجم .
(٢) الفروق والفروقة : الحرمة . والشهيق : أقبح الأصوات فى اللسان .
(٣) بنفسى : أفديه بنفسى ! (٤) طمست عيون الناس : أعميتها .
(٥) المهجة : دم القلب والروح ، يقال : خرجت مهجته ، وبذلت له مهجتى .
(٦) أفاتك : الهمزة للنداء ، والمراد : يا فاتكة .
(٧) الخطوب : المصائب . جمع خطْب .

ومـــا حقُّ الحـــســـانِ عَلَىّ إلا

صـــيـــانتُـــهُنّ من دَنَسِ الذُّنوب!

وهذا يغار على امراة حمقاء!

* وكثيرا ما تدفع «المرأة الحمقاء» زوجَها إلى الغيرة عليها بسوء تصرفها ، وخضوعها بالقول ، فيطمع الذى فى قلبه مرض ! ، وعند ذاك تغلى الغيرة فى دماء زوجها!

قالت «حميدة بنتُ النعمان» لزوجها رَوْح بن زِنْباع:

كيف تسود قومك ، وفيكِ ثلاث خصالٍ:

أنت من جذام! ، وأنت جبان! ، وأنت غَيور؟!

فقال : أما **جذام** ، فأنا من أَرومتها[1] !

وحسب الرجل سؤدداً أن يكون فى أرومة قومه!

وأما **الجبن** ؛ فإن لى نفسا واحدة ، ولو كانت لي نفسان لجُدْت بإحداهما!

وأما **الغيرة** ؛ فأمر لا أريد أن أُشَارَكَ فيه ؛ فإن المروءة تتحقق بالغيرة على المرأة الحمقاء الولود مثلك ؛ فإنه لا يأمن أن تأتى بولد من غيره تربيه فى حجره!

وهكذا يكشف عَن السبب وراء غيرته على تلك الحمقاء!

وإذا عرف السبب بطل العجب كما يقولون.

أغار عليك من همسات ظنى!

وقد بلغت الغيرة بالشاعر أحمد عبد المجيد ، وهو الدبلوماسى – أن يغارَ على محبوبه من همسات ظنه فيقول من قصيدة له نشرها فى كتابه «**سندباد دبلوماسى**» :

أغـــارُ عليك من همـــســـاتِ ظَنّى

وحَـــسْـــبى أن أغـــار عليك مِنّى

فـــأين نظرتِ تبـــتـــعـــثين همـــسًـــا

يداعبُ كُلَّ صَبّ بالتَّـــــــمنّى

وأين خَطرْتِ تنتـــــــزعين أمنًا

ومـــا بَرِحَتْ عُـــيـــونُ الغِـــيـــد تجنى

---

(١) الأرومة : الأصل ، وقد تضم همزتها .

تعـــالَىْ واخطرِى فى خَـــفْقِ قَلْبى
تعـالَىْ وامـرَحِى فى جَـفْن عَـيْنى
تعـــــالَىْ أنتِ من دنيـــــاىَ هَمِّى
وأنتِ قـــصـــيـــــدتى وأنا المغنى

وهذا يغار على طَرْفِه لها إذا رام غيرها!

* جاء فى الأمالى لأبى على القالى:

كان رجل من «**مُجاشِع**» يقال له «**سعد بن مطرف**» يهوَى ابنةَ عمّ له ، يقال لها : سعاد ، فكان يأتيها ، ويتحدث إليها ولا يُعلمها بما هو عليه من حبها حتى سُلّ جسمه ونحِل بدنه ، فبينما هو ذات يوم معها جالس إذ نظر إليها ، وأنشأ يقول:

وما عَرضَتْ لى نَظْرة مُذْ عرفتُها
فـــأنظُرَ إلا مُـــثِّلَت حين أَنْظُر!
أغارُ على «طَرْفى»[1] لها ، فكأننى
إذا رام طرفى غـيـرَها لَسْتُ أُبْصِـرُ
وأحـذرُ أن تَصْغَى إذا بُحتُ بالهَوى
فأكتُمها جُهدى هوايَ وأَستُر

وهذا لا يحب أن يرى عينى محبوبه!

* من المحبين من كان يربأ أن ينظر بعينيه إلى عين من يحب ؛ لأنه لا يستحق هذا الشرف!

* قيل لبعضهم : أتحب أن ترى عينى محبوبك؟!

قال : لا.

قيل : ولِمَ؟

قال : أُنزِّه عينَيه عن عيون مثلى!

---

(١) الطرف : العين ، يطلق على الواحد وغيره ، وقد يثنى ويجمع ، وفى التنزيل العزيز : ﴿ قاصرات الطرف ﴾ [الرحمن : ٥٦] .

وهذا يغار من عينيه!

* ومنهم من عَرَتْهُ حالة غريبة ، وهو أنه يغار من عينيه أن تتمتعا وحدهما بالنظر إلى المحبوب ، فمنعهما النظر وفى ذلك يقول:

إنى لأحـــــسـد ناظرىّ عليكا

حـــــتى أَغُضَّ إذا نظرتُ إليكا!

وهذا يغار من نظر العيون إليها فيقتلها

* وبلغت الغيرة من «**ديك الجن الحِمْصى**» أن قتل جاريته ، وبكاها، ولَمّا سُئل عن سبب قتله لها قال:

مَـا كـان قَـتْلِيَـهـا لأَنّى لم أكُن

أبكى إذا سـقط الغُـبـارُ عليـهـا!

لكن بخلت على سـواىَ بِحُـسْنِهـا

وأغـار من نظر العـيـون إليـهـا!

وما أكثر مثيرات الغيرة بين الأزواج والزوجات وما أعجب النفوس حين تغار لسبب أو لآخر.....

من مثيرات الغيرة بين الأزواج

* قد يغار الرجل من امرأته إن هى شقت طريقها وأقبلت على العلم والدراسة فتفوقت عليه ، وحصلت على ما لم يحصل عليه من الشهادات!.....إنه يحس بالنقص .....والدونية فتتملكه الغيرة وعندئذ يضع فى طريقها العراقيل ! ، ويحول حياتها إلى جحيم لا يطاق!

* وقد تغار المرأة من زوجها عندما تراه طموحًا مُصِرًا على الارتقاء فى سلم المجد!

فقد نشرت إحدى الصحف المصرية أول دعوى تنظرها محكمة الإسكندرية للأحوال الشخصية قام أحد الأزواج برفعها يطلب تطليقه من زوجته!

إنه طالب بإحدى الكليات العملية وسنه ثلاث وعشرون سنة ...تزوج من أستاذته الأرملة التى تكبره بمثل سنه... ومضى على زواجهما ثلاث سنوات ... وقبل شرطها بأن تصبح العصمة فى يدها ! ، وظن أنها ستساعده فى تحقيق

طموحه العلمى...

لكنها مع الأسف الشديد تحولت إلى قيد يشل حركته ويقيد خطواته، ويقف حجر عثرة فى سبيل طموحه بسبب غيرتها، وخوفها من أن يفلت من يدها!

لقد استغلت نفوذها، وحرمته من فرصة السفر إلى الخارج ضمن بعثة علمية أرسلتها الكلية! وجنّ جنونه بضياع فرصة العمر!

وقد قضت المحكمة بعدم قبول الدعوى نظرا لأن جعل العصمة فى يدها لايلغى حقه فى تطليقها!

وهكذا تفعل الغيرة فى دنيا الرجال والنساء!

غيرة العجوز!

ويا لها من غَيرة مُدَمِّرة!

فقد يخيل للرجل المسنّ أنه يستطيع أن ينعم بالحياة، ويَستعيدَ أيام شبابه عندما يتزوج من فتاة صغَيرة وتكون الموافقة طمعا فى جاهه ومركزه، أو ماله وشركاته وأملاكه!

ثم إذا به عاجز جنسيا وصحيا أمام فورة شبابها، وطغيان أنوثتها!، فيُفيق على واقع أليم مخيف!

وهنا تبدأ الغيرة .. وتحيط به الشكوك والأوهام ويُجَنُّ جنونه.. وتسوء ظنونه، وتتراءى له أشباح الشك والوهم، التى لا تتركهما إلا محطمين متداعيين يائسين!

وأوْلى بمثل هذا الشيخ أن يكرس حياته في هذه السن المتأخرة لما يفيد أسرته، وينزل على حكم الواقع .. ولا يكلف الأيام ضد طباعها!!

وأن يعلم أن من بعد قوة ضعفا وشيبة، فلا حول ولا قوة إلا بالله!

غيرة الشيوخ من الشباب!

* عن الهيثم بن عدى عن ابن عياش قال:

كان النساء يجلسن لخُطابهن، فكانت امرأة من بنى سلول تُخْطَب!

وكان عبد الله بن عاصم السلولى يخطبها ، فكان إذا دخل عليها تقول له : فداك أبى وأمى ! ، وتقبل عليه تحدثه!

*وجاءها شاب من بنى سَلول يخطبها ، فكانت إذا دخل عليها الشاب وأقبل عبد الله قالت للشاب:

قُمْ إلى النار! ، وأقبلت على عبد الله بحديثها!

ثم إن الفتى تزوجها ، فلما بلغ ذلك عبد الله أنشأ يقول:

أوْدَى بحب سُلَيْمى فاتِكٌ لَقِنٌ (١)
كحيَّةٍ برزت من بين أحجارِ
إذا رأتنى تُفَدِّينى وتجعله(٢)
فى النار ، يا ليتنى المجعولُ فى النارِ

وله فيها:

ماذا تَظُنّ سُلَيْمى إن ألَمَّ بها
مُرَجّل الرأس ذُو بُرْدَيْن مَزّاح؟!
حُلْو فكاهتُه ، خَزٌّ عمامتُه(٣)
فى كفه من رُقى الشيْطان مِفتاح!

* وهذا زوج آخر كبير السن .. كان يحب زوجته .. ولكنها تحب غيره .. فاشتعلت غيرة زوجها .. وامتدت يده إليها بالضرب ، وتقول شقراء بنت الحباب مخاطبة زوجها عمرا وقد ضربها حين علم أنها تحب فتى اسمه «يحيى» :

أقولُ لعَمْرٍ والسِّياطُ تَلُفنى لَهُنّ على مَتْنَىَّ شرٌّ دليلِ(٤)
فأشهدُ يا غيرانُ أنىِّ أُحِبّه بِسَوْطِك فاضربنى وأنت ذليل

هكذا تفعل الغيرة بالرجال!

* قال الهيثم بن عدى:

غزا الغسانىُّ الحارثَ بن عمرو (آكل المُرار) فى منزله ، فلم يُصبه!

فأخذ ما وجد له ، واستاق امرأته ، فلما أصابها أُعجبت به ! ، وقالت له:

---

(١)لقن : كفَرِح : شديد الذكاء . وأودى بالشىء : ذهب به . (٢) تَفَديه : تقول له : جُعلتِ فداك .
(٣) الخز : الحرير ، وما نسج من صوف وحرير ، والمراد : أنه مترف غنى . وهو شاب ساحر له حضور وتأثير جذاب . (٤) المتنان : مكتنفا الصلب من العصب واللحم عن يمينه وشماله .

أُنْجُ بنفسك ، فوالله لكأنى أنظر إلى الحارث يتبعك فاغراً فاه ، كأنه بعير آكل المرار[١] !!

وبلغ الحارثُ ما فعله الغسانى ؛ فأقبل يتبعه حتى لحقه فقتله ، وأخذ ما كان معه ، واسترد امرأته!

فقال لها : هل كان قد أصابك[٢] ؟!

فقالت له : نعم ؛ فوالله ما اشتلمت النساء على أطيب منه!!

فأثارت بهذا كوامن غَيرته ، وأمر بها فأوقفت بين فرسين ثم استحضرهما (أَعْدَاهما)[٣] حتى قطعاها!

ثم أنشأ يقول:

كُلّ أنثى وإن بدا لك منها
آية الوُدّ حُبُّها خَيْثَعُورُ[٤]
إن مِنْ غرّه النساءُ بوُدٍّ
بعد هِنْدٍ لجاهِلٌ مغرورُ!

وأينما سرنا ، وحيثما حللنا ، وجدنا صورا من صور الغيرة الممقوتة مبعثها الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس.

من صور الغيرة الممقوتة

غيرة مبعثها الوسواس الخناس

[١] هذا الزوج الذى أنعم الله عليه بزوجة صالحة حافظة للغيب ، حَصَان رزَان ما تُزَنُّ بريبة[٥] ، ولكنه هو مصاب بالغَيرة المحمومة التي لا تدعو إليها داعية ؛ يغَارِ عليها من الناس جميعا ؛ فيمنعها أن تزور وأن تزار ، وإن كانت زيارة الأكْرِمِين[٦] ، ولا يطيق أن تكون فى بيته نافذة مفتوحة ، فأبواب النوافذ دائما موصدة إيصاداً محكما، وهو لا يأمن أن يزورها أحد فى غيبته ، وعلى غير علم منه . فإذا ما انصرف إلى عمله أغلق الأبواب ، وأخذ المفاتيح!

---

(١) المرار : على وزن غراب ، شجر تأكله الأبل ، فتتقلص مشافرها . وفغر فاه فتحه وكشر عن أنيابه.
(٢) وقع عليك وجامعك ! (٣) استحثهما على العدو فى كل ناحية . (٤) خيثعور : غير دائم .
(٥) حصان : عفيفة ، رزان : ذات ثبات ووقار وعفاف ورزينة فى مجلسها ، ما تزنّ بريبة : غير متهمة فى سلوك ! (٦) الأبوين .

وإذا ما عاد من عمله طاف بكل الحُجَر ، ونظر فى كل زاوية ، حتى فيما تحت الأثاث والفراش خشية أن يكون أحد قد تمكن بحيلة ....أىّ حيلة من الدخول إلى مسكنه فى غيبته!

وإذا ما قدر أن أحدا من أبويها ، أو محارمها أقبل لزيارتها فعليه أن ينتظر فى أى مكان يشاء ، حتى يعود الزوج الغيور من عمله!

فإذا ما برِمَتْ[1] هى وأهلها بهذه المعاملة ثارت ثائرته واشتد فى شَغْبه[2] ، ومُشاقَّته!

وإذا ما خاصمته قضائيا تشكو من إضراره بها ، وسوء معاشرته لها ، جاء فاعترف بكل ما اقترف ، وقال : إنى لم آت شيئا إدا [3] ، ولم أصنع إلا ما هو حقى ، بل ما هو واجب علىّ شرعا ، وإنى لغيور ، وإن الله تعالى يغار والمؤمن يغار ؛ فلا ضير[4] علىّ إذا ما فعلت ما يحبه الله ورسوله!

فهذا الزوج من الحق ، ومن العدل أن يقال له ولأمثاله إن ما أتيته ليس من الغيرة الدينية ، ولا من غيرة الرجولة والشهامة ، وليس إلا وسواسًا حرمت به زوجتك من الحرية المشروعة ، وهى فى هذا البيت ليست من الأحياء ، ولا من الموتى!

وقد قتلت فى نفسها العزة والكرامة ، وعرضت سمعتها للقيل والقال!

ولو كنت مؤمنا حقا ، ولو كنت ممن تأدبوا بالآداب الإسلامية لتأدبت بقول الله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا** (١٢) ﴾ [**الحجرات** : ١٢] .

وبقوله ﷺ : «**إن من الغيرة غيرةً يبغضها الله - عز وجل - وهى غيرةُ الرجلِ على أهله من غيرِ ريبة**[5]» .

ويقول الإمام على - رضى الله عنه - : «لا تُكثر الغيرةَ على أهلك ، فتُرمى بالسوء من أجلك» .

وهذه صورة وقعت من زوج مثقف ثقافة عالية وعلى زوجة مهذبة كريمة ، وشهدتها مجالس القضاء!

وليست حالة افتراضية لم تقع!

---

(١) سئمت وضجرت . (٢) شغبه : تهييج الشر ، وإثارة الفتنة .
(٣) إدًّا : منكرا من الدواهى ، (٤) الضير : المضرة . (٥) سبق تخريجه .

غيرة جاهلية طائشة يبغضها الله!

[٢] وهذا رب الأسرة الهادئة المستقيمة «**المستورة**» التى لم يُسمع عنها سوء ، يتلاحى[١] مع آخر فيكيد له خلال ملاحاته ، ويعرّض له بسمعة بنته ، أو أخته مثلا ، أو يأتيه خطاب غُفْل من ناصح ، أو عليم ، أو ما شابه ذلك ، يتهم فيه ابنته بسوء السيرة ، فيركبه شيطان الطيش ، ويبادر إلى العصا والسوط ، ويعصف بهذه الأسرة ويقضى على هذه المتهمة التى تظهر براءتها بعد فوات الأوان!

ومثل هذا الإنسان جدير بأن يقال له : من الحق ومن العدل أن قد جانبت منطق العقل والحكمة ، ولم تأتمر بقول الله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴿٦﴾ ﴾ [**الحجرات** : ٦] .

إن غيرتك هذه ليست من الغيرة المحمودة التى يحبها الله ، وليست إلا غيرة جاهلية طائشة يبغضها الله!

من المسئول؟!

[٣] وهذا زوج تجرفه مبادئ الحضارة والترف ، فيغشى بزوجته الأندية ، والمشارب ، والمراقص ، ويدفعها إلى التعارف بالكريم واللئيم ، ويدعها تراقص هذا وذاك[٢] ، وتأتى ما لا سبيل إلى اجتنابه ، ثم تأكل الغيرة قلبه ، فإذا ما عادا إلى مأواهما أخذ يحاسبها على هذه النظرة ، وتلك الابتسامة ، وهاتيك المحادثة وما إلى ذلك!

ثم تقوم بينهما قائمة الشقاق الذى قد ينتهى ، ثم يعود إلى مثل ما كان أولا بأسبابه ونتائجه وهكذا دواليك.

يغار بعد فوات الأوان!

[٤] وهذا الآخر الذى يفتح باب بيته على مصراعيه لأصدقائه ومعارفه ، ولا يتأثم من اختلافهم[٣] إلى منزله فى غيبته ، حتى إذا ساءت السمعة ، وأنتنت

(١) الملاحاة : المنازعة والمخاصمة ، يتلاحى : يتنازع ،

(٢) مما نهى عنه الإسلام وحذر من إتيانه والاقتراب منه

(٣) تأثم : تجنب الإثم ، ولايرى إثما فى ترددهم على مسكنه ، ويقال : اختلف الى المكان : تردد عليه .

الرائحة ، أفاق من غمرته ، وأخذ يغار ، ويحتد ويشتد ، ويشاقق ويغاضب!

يغار بعد أن وقعت الواقعة!

[٥] وهذا الخامس الذى يترك الحبلَ على الغارب لكريمته الشابة التى تخالط شبابا مثلها ليلا ونهارا بحجة التعاون على الأعمال المشتركة ، أو الرغبة فى الزواج ، حتى إذا وقعت الواقعة قامت قيامته ، وعصف بالبنت وبالأم ، وبهدوء الأسرة وسلامها!

إن من الحق والعدل أن يقال لهؤلاء جميعا:

أين كانت هذه الغيرة المتخلفة؟

ولم تغافلتم أيها الغيورون عن مبادئ الأمور التى تخشى غوائلها؟

إن غيرتكم اليوم لا تغنى عنكم فتيلا بعد أن كان ما كان!

وهى غيرة بغيضة ليس من ورائها إلا الشقاق والعبث بحياة الأسرة

ومثل هؤلاء أول من يحاسب على ما كان بما فرطوا فى حقوق الأسرة ، وفى دينها ، وفى كرامتها ، فدعونا من هذه الغيرة الهزيلة!

أما الغيرة الدينية الحقة ، التى تكتمل لها المعانى فهى غيرة الشهامة والرجولة!

الغيرة الحكيمة المتبصرة...

الغيرة المحمودة التى يحبها الله..

وهى غيرة لا يمكن أن تكون وسيلة إلى شقاق ، ولا أن تؤدى إلى شىء منه بين البررة الكرام! ، وعلينا أن نكون على وعى بمحاسن الغيرة ومساوئها فمن لا يعرف الشر يقع فيه!

صور وألوان من الغَيرة!

وبعد ؛ فالتاريخ ملىء بصور الغيرة ، وفيها عظة وعبرة؛ فللغيرة محاسنها ، ولها مساوئها ...فالله غيور يحب كل غيور . ويقول الجاحظ فى «**المحاسن والأضداد**»!: من الوصايا الحكيمة : «**باعدوا بين أنفاس الرجال والنساء**» ذكره ابن جماعة فى منسكه فى طواف النساء ، من غير سند كما قال العجلونى ، فإن كانت المعاينة واللقاء كان الداء الذى لا دواء له!

* وروى أن امرأة ذات عقل ورأى حملت من فاجر فقيل لها فى ذلك فقالت : قرب الوساد ، وطول السواد ، تريد : قرب مضجعه منها ، وطول مسارَّته إياها.

* وروى فى مسند الفردوس عن عقبة بن عامر : «**النساء حُبالة الشيطان**» وفى رواية «**حبائل**» جمع حبالة - بالكسر- وهى ما يصاد به من أى شىء كان.

* وقال سعيد بن مسلم : لأن يرى حرمتى ألف رجل على حال تَكَشُّف[1] وهى لا تراهم أحب إلى من أن ترى حرمتى رجلا مواجهة . قالَ الشاعر:

وللعين مَلْهَى بالنساء ولم يَقُدْ
هوَى النفسِ شيء كاقْتيادِ الطرائفِ

ولكل ملك حِمًى ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه!

* قيل : وكان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه يَعسّ[2] بنفسه فسمع امرأة تقول:

ألا سبيلٌ إلى خمر فأشربُها
أَمْ هَلْ سبيلٌ إلى نَصْرِ بن حجاجِ
إلى فتى ماجدِ الأخلاق ذى كرمٍ
سَهلِ المحيا ، كريم غير مِلْجاج

فقال عمر : أما ما دام عُمر إماما فلا!

فلما أصبح قال : عَلَىَّ بنصر بن حجاج ، فأتى به ، فإذا هو رجل جميل ، فقال : اخرج من المدينة!

قال : لم ؟ وما ذنبى؟ قال : اُخرج ، فوالله ما تساكننى ، فخرج حتى أتى البصرة ، وكتب إلى عمر - رضى الله عنه -:

قال : فرده عمر بعد ذلك لما وصف من عفته! فى قوله :

لَعَمْرِى[3] لَئن سَيّرْتنى وحَرَمْتنى ولم آتِ إثمًا إن ذا لحرامُ

---

(١) يقال تكشف الشيء : انكشف .
(٢) يطوف بالليل ليكشف عن أهل الريبة . (٣) لعمرى : قسم . يقسم بعمره وحياته .

وما لىَ ذنبٌ غير ظنٍ ظننتَه ... وبعضُ تصاديق الظنون أثام[1]

وإن غنّت الذلفاء يوما بُمنيَةٍ ... فبعضُ أمانىّ النساء غرامُ

فظُن بىَ الظنَّ الذى لو أتيتُه ... لما كان فى الصالحين مُقامُ

ويمنعنى مما تمنت صلاتُها ... وبيتٌ لها فى قومها وصيامُ

فهذان حالانا فهل أنت مُرْجعى ... فقد جُبَّ منّى غارب وسَنَامُ[2]

* ويروى أيضا أن عمرَ بن الخطاب - رضى الله عنه - كان يَعَسّ بالمدينة ذات ليلة إذ سمع امرأة تهتف ، وتقول:

تطاولَ هذا الليلُ واسودّ جانبه ... وأرّقنى إذ لا خليلَ ألاعبُه

فوالله لولا اللهُ لاربَّ غيرُه ... لزُعزِع من هذا السرير جوانبُه

ولكنّ ربّى والحياءُ يَكُفُّنى ... وأُكرِمُ بَعْلى أن تُوَطّا مراكبُه[3]

قال : فرجع عمر إلى منزله ، فسأل عن المرأة ، فإذا زوجها غائب ، فسأل ابنته حفصة : كم تصبر المرأة عن الرجل؟

فسكتت ، واستحيت ، وأطرقت ، فقال:

أربعة أشهر ...خمسة أشهر ....ستة أشهر ، فرفعت طرفها ، فعلم أنها لا تصبر أكثر من ستة أشهر!

فكتب إلى صاحب الجيش أن يُقْفِلَ[4] من الغزو الرجال إذا أتت ستة أشهر إلى أهاليهم.

* ويروى الجاحظ أن رجلا من الأنصار كان مع الغزاة ، وله جار يهودى ، فأتى امرأته ... واستلقى ذات ليلة على ظهره وأنشد:

---

(١) يتوافق مع قوله تعالى : ﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢] والمراد يوقع فى الإثم .

(٢) جبّ : قطع : وجبّ السنام : انقطع ، والغارب من البعير : مابين السنام والعنق . والمراد : انقطعت بىَ السبيل ولا سبيل إلى العودة !

(٣) أن يمكن غيره من فراشه ، ويتاح له ذلك فى سهولة ويسر .

(٤) أقفل صاحب الجيش القوم من مبعثهم : أرجعهم .

وأشعثَ غرّه الإسلام منى خلوت بعُرسه ليلَ التمام[1]
أبيتُ على ترائبها ويُضحى على جرداءَ لاحقة الحزام[2]

فسمع ذلك جار له ، فضربه بالسيف حتى قطعه ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فقال :

أُنشد الله[3] رجلا كان عنده من هذا علم إلاّقام!

فقال الرجل ، فحدثه فقال : أحسنت ، وتمام الأبيات:

كأن مجامع الرّبَلاتِ منها فئام قد جُمعن إلى فِئام[4]

* وكما كان عمر بن الخطاب يغار على أعراض المسلمين ويحمى حماهم كان يغارِ على لغتنا العربية ، ويرى أن سوء اللحن أشد من سوء الرماية ، فقد مرّ على «**رماة غرض**» ، فسمِع أحدهم يقول لصاحبه : **أخطيت وأسيْتَ**» . فقال عمر – رضى الله عنه – مه ؛ فإن سوء اللحن أشدّ من سوء الرماية[*] .

ويقول الجاحظ :

ومِن الغَيْرة ما حكى عن سليمان بن عبد الملك أنه كان فى بعض أسفاره ، فسمر معه قوم ، فلما تفرقوا عنه ، دعا بوضوء[5] فجاءته جارية ، فبينا هى تصب الماء على يده إذ استمدّها[6] ، وأشار إليها مرتين ، أو ثلاثا ، فلم تصب عليه، فأنكر عليها ذلك ، ورفع رأسه ، فإذا هى مصغية بسمعها ، مائلة بجسدها إلى صوت غناء من ناحية العسكر ، فأمرها ، فتنحّت ، فسمع الصوت ، فإذا رجل يغنى ، فأنصت حتى سمع ما غنى ، قدعا بجارية غيرها فتوضأ ، فلما أصبح سأل حتى عرف مصدر الغناء ، وأقبل على القوم قائلا :

* هدر الفحل ، فضبعت الناقة![7]

* ونَبّ التّيْسُ ، فَحنّت الشاة![8]

---

(١) يقال : شعث الرجل : اتسخ شعره وبدنه ، والعرس – بكسر العين – الزوج ؛ يقال : هو عرسها وهى عرسه . (٢) الترائب : جمع تريبة . عظامالصدر مما يلى الترقوتين وموضع القلادة . والجرداء : الناقة . ومؤنث الأجرد . لاحقة الحزام : ضامرة لصق بها حزامها ، فشتان ما بينهما .

(٣) أسأله بالله : وأذكّره به . (٤) الربلات : جمع ربلة وهى كل لحمة غليظة ، أو باطن الفخذ . والفئام : وطاء يفرش فى الهودج ونحوه . (*) مه : بمعنى اكفف عن كلامك الذى تسرب إليه اللحن . وهو أخطيت والصواب أخطأت . وأسيت والصواب : وأسأت !

(٥) الوضوء : ـ بفتح الواو ـ الماء . (٦) طلب منها أن تمده بالماء .

(٧) هدر الفحل : ردّد صوته فى حنجرته . وضبعت تكسر الباء – طلبت الفحل واشتدت شهوتها إليه

(٨) نبّ التيس نبيباً : صاح . فحنت الشاة شوقاً إليه .

* وهدل الحمام ، فزافت الحمامه![1]
* وغنى الرجل ، فطربت المرأة!ثم أمر بالمغنى فخُصي
وسأل عن الغناء أين أصله ؟ قالوا : بالمدينة ، وهم المخنَّثونَ!
فكتب إلي عامله أن اخص[2] من قبلك من المخنثين!
وحدث الأصمعى : أن الشعر الذى سمعه سليمان هو:

محجوبةٌ سمعت صوتى فأرّقها
من آخرِ الليلِ لما بلّها السّحَرُ
تُدنى على الخَدّ من مُعَصْفَرةٍ
والحلْى بادٍ على لَبّاتِها خَصِرُ[3]
فى ليلةِ البدرِ ما يَدْرِى مُضاجِعُها
أوَجْهُها عنده أبهى أم القمرُ؟
لم يمنعِ الصوتَ أبوابٌ ولا حَرَسٌ
فدمعها لطروق اللحن ينحدرُ
لو تستطيعُ مشت نحوى على قدمٍ
تكادُ من رقةٍ فى المَشْيِ تَنْفطِرُ

ثم دخل سليمان مضرب الخدم ، فوجد جارية على هذه الصفة قاعدة تبكى فوجه إلى سنان المغنى فأحضره فأمر به فخصى وكان بعد ذلك يسمى الخصِىّ[4] .

ويرى الأستاذ «خالد محمد خالد» رحمة الله عليه : «أن إنصاف المرأة وعدم التعنت معها خير ما يدفعها إلى العفة، وأن العفة التى يغار عليها بعضهم لا يجرحها إلا الحرمان والتكبيل، وإشعار صاحبتها أنها مجرد شيء يلعب به ، ويستمتع. وهذه العفة لا تعصمها، ولا تصونها جدران بيت أو كهف بل جدران النفس الباطنة، والمناعة الذاتية الحرة التى تنشئها الثقافة، والتجربة، واحترام الذات» .

وأقول:يكفى فى هذا المجال قول الرسول ﷺ:«**النساء شقائق الرجال**[5]» .

---

(١) هدل الحمام : صوت . وزافت الحمامة الذكر عند الحمامة الأنثى : نشر جناحيه وذنبه وسحبهما على الأرض . (٢) وفى روايةٍ :، أحْصِ من الإحصاء والعد، فصحفها وقرأها اخصِ .
(٣) المعصفرة : الثياب المصبوغة بالعصفر . وهو نبات يستخرج منه صبغ أحمر يصبغ به الحرير ونحوه
(٤) والخصىّ : بفتح الخاء ـ من سُلّت خصيتاه ونزعتا ، أو قطع ذكره. (٥) أخرجه أبو داود .

وقول الله تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] .

وما أجملَ قولَ مسْكين الدارمى :

مـا أحـسن الغـيْـرة فى حـينهـا
وأقـبـحَ الغـيْـرةَ فى غـيـرِ حين
مَن لم يزل مُـتَّـهِـمًـا عِـرسَـه
مناصـبـا فـيـهـا بوهمِ الظُّنون
يوشك أن يُغْـريَهـا بـالذى
يَخـافُ ، أو يَنْصَبـهـا للعـيـون[1]
حـسـبُك من تحـصـينهـا ضـمُّـهـا
منْك إلـى خُـلُـقٍ كـريمِ ودين
لا تَظْهـرَن منك على عـورةٍ
فـيَـتْـبَعَ المقـرونُ حـبلَ القـرين[2]

الغيرة بين الأقارب

لست أدرى كيف يعمل دعاة التفرقة بين الأقارب ويحلو لهم أن يرددوا قولتهم «**الأقارب عقارب**» !

وتجد هذه الكلمة الخبيثة مكانها على الألسنة ، وفى النفوس فتشتعل نيران الغيرة الممقوتة بين أبناء الأسر الكبيرة فتمزقها شر ممزق !

والواجب علينا أن نكبح جماح تلك الغيرة بحسن التصرف ، وكريم المعاملة ، ورعاية حق القرابة ، وقديما قال شاعرنا العربى :

فـإن الذى بينى وبين عـشـيـرتى
وبينى وبين بنى عـمى لمختلف جِـدّا
فـإن أكلوا لحـمى وفَـرْت لحـومَـهم
وإن هدموا مجـدى بنيت لهم مجـدَا
ولا أحـملُ الحـقـدَ القـديمَ عليـهـمُـو
فليس كريمُ القوم من يحمل الحقدَا
وأعطيـهـم مـالى إذا كنت واجـداً
وإن قَلّ مـالى لم أكلفـهـم رفـدا[3]

---

(١) فلم تنه المرأة عن شىء إلا عاندت وفعلته ، فلومها إغراء بالفعل ، ونصب الشىء ! أقامه .

(٢) أنت قدوة لها ، ومثلها ، فلا تقع عينها منك على قبيح . (٣) الرفد : العطاء .

«إننا لا نستطيع أن نمنع «طيور الغيرة» من أن تحلق فوق رءوسنا ، ولكننا نستطيع أن نمنعها من أن تبنى عُشّاً فيها»

علام تقوم العلاقة المثلى بين الزوجين؟!

العلاقة بين الزوجين تقوم على المحبة ، والتراحم ، والثقة المتبادلة حتى يواصلا مسيرة حياتهما فى أمن وطمأنينة وسلام!

وقد علمنا الدين أن بعض الظن إثم ، ونهانا عن التجسس! وهذا يتطلب منا ألا نطلق لظنوننا العنان ، ولا يتجسس أحد الزوجين على الآخر ، ولا يبالغ فى الغيرة مما يعكر صفَو الحياة، ويجعل البيت جحيما لا يطاق ! ، وهو الذى أعد ليكون جنة ينعم فيها الزوجان ويأتلفان! يسكن الزوج إلى زوجته ، وتسكن إليه! نعم كل محبوب يغار ، ولكنها الغيرة المحمودة .. الغيرة المعتدلة ، الغيرة التى يشعر فيها الطرف الآخر بأنه موضع اهتمام ، وبها يزداد الحب ، وتقوى الروابط، وتهدأ النفوس ، ويسكن القلب ، ويسعد البال.

الغيرة التى لا تجاوز حد الاعتدال بلا إفراط ولا تفريط ، وليعلم كل من الزوجين أن...

من الغيرة ما يحبه الله!، وهى غيرة محمودة!

ومنها ما يبغضه الله! ، وهى غيرة ممقوتة!

فالغيرة التى يحبها الله هى الغيرة فى الرِّيبة حيث لا يحسن السكوت عليها!

أما الغيرة التى يبغضها الله فتلك الغيرة فى غير ريبة....غيرة بلا مبرر ...غيرة لأتفه الأسباب ، أو للاشيء! ومن أمثال الغيرة المشروعة عند الرِّيبة : ماروى عن سعد بن معاذ– رضى الله عنه– أنه رأى امرأته ، وقد دفعت إلى غلامه بتفاحة قد أكلت منها ، فاستنكر ذلك الموقف ، لما قد يكون فى ذلك من احتمال إثارة الغلام جِنسيّا ، فقد يتخيل فمها ....ويتمادى فى تخيله بما يدفعه إلى التفكير فيها!

فالغيرة هنا لإغلاق باب من أبواب الفتنة والشر ...غيرة ضرورية ومطلوبة !

والباب الذى يأتينا منه الريح نسده ونستريح كما يقولون!

وبارك الله فيمن كان مفتاحا للخير مغلاقا للشر ، ولا بارك الله فيمن كان مِغلاقا للخير ، مفتاحا للشر! و والفتنة نائمة ، لعن الله من أيقظها!

وبين عمى الحب ، ويقظة الغيرة ألم جهنمى!!

وفى أمثالنا : * **ومعظم النار من مُسْتَصْغَر الشّرَر** * ونار الغيرة تقوم على أوهن الأسباب ، وأسخف القرائن فتودى بحياة طيبة ، أو تقضى على سعادة راضية!

إنها ذلك السُّمُّ الزُّعاف [1] الذى تكفى قطرة منه لتكدير ذلك السلسبيل العذب من الهناءة ، والثقة والراحة ، والصفاء!

أَلاَ ما أضعف ذلك الإنسان الذى تستبد بسعادته فى الحياة همسةٌ شاردة ، أو شبهة باطلة!

* يقول سليمان الحكيم - عليه السلام -:

«إن الغَيْرةَ قاسيةٌ كالقَبْرِ!»

* ويقول الأستاذ العقاد:

والغيرة لا تعنيها الكثرة والقلة ، ولا تعرف الزُّهد والقناعة فقد يغار صاحب الألف على واحدة توشك أن تَفلت منه ، كما يغار صاحب الواحدة التى لم يكن له سواها من قبل ، ولن يتعلق له رجاء بسواها بقية حياته!

إنها الأثرة!

فحيثما تحركت الأثرة[2] فهناك تتحرك الغَيرة ، وقد تكون الأثرة مع الغنى كما تكون مع الفقر ، بل لعلها فى نفس الغنى المجدود[3] أقوى منها فى نفَس الفقير المحروم.

أقوى بواعث الأثرة:

والمنافسة أقوى بواعث الأثرة ؛ فحيثما تشتد المنافسة ويكثر الزحام تظهر الأثرة ، وتظهر معها الغيرة ، وإن لم يكن فى الأمر حب ولا وفاء!

ولهذا تكثر الغيرة حول النسوة اللاتى يبرزن للجماهير لأنهن معروضات

(١) الزعاف : سريع القتل . (٢) حب الذات ، والأنانية المفرطة ، (٣) المجدود : المحظوظ .

للمنافسة والسباق بين الطلاب ، فيكون لهن شأن أكبر من شأنهن فى الجمال ، أو الرشاقة ، أو الذكاء.

* وكما تكون الغيرة مع الأثرة تولد الغيرة مع الاهتمام أيا كان سببه ، وسواء كان دافعه : الحب ، أم لذة الظفر ، أو لإرضاء شعور فى النفس لا علاقة له بهذا أوذاك.

* وأقتل أنواع الغيرة ما كان عن حب صحيح وثقة مكينة ، ورجاء غير مشكوك فيه!

* وما ظنك بعاشق قد اطمأن إلى حبه ، ثم أفاق فجأة على شبهة تنغصِ حبه ، وتزلزل مكان الثقة من عطفه .. إنه الجحيم الذى لا قرار فيه .. ولا ملاذ منه .. وهو العذاب الذى لاطاقة للجسم أو الدم بمثله ، وليس هناك ما هو أمرٌ مذاقا من وقع تلك الغيرة على نفسه!

الغيرة عن شك:

فإن كانت الغيرة عن شك فهناك الحَيْرَةُ الكاظمة ، والقلق المُلِحّ المسموم.

وأى عذاب أقسى من قلق يثير الوساوس ثم يطلق زمامها فلا هو يردها بعد ذلك ، ولا هو قادر على أن يميل بوسواس منها إلى الراحة.

الغيرة عن يقين:

* وإن كانت الغيرة عن يقين ، فهناك الصدمة القاتلة، كأنما هى صدمة المقْبلِ بكل قوته حيث يهدأ أو يستريح ؛ فإذا هو يستقبل الضربة القاضية فى المقتَلَ الأمين!

* ولقد قيل : «**إن الحب بغير عيون**[1]» ؛ لأنه ينخدع عن الحقيقة الواضحة ، ويمارى فى الواقع المحسوس!

* ولكن إذا صح «**أن الحب بغير عيون**» فإن للغيرة عيونا مفتوحة لاتُحْصَى وإن كانت لتضلّ عمدا عن الرؤية فى معظم الأحايين! وبين عمى الحب ، ويقظة الغيرة ألمَ جهمنى كألم الجسم المشدود بين قوتين تعدو كل منهما فى طريق[2] .

---

(١) كما قالوا : الحب أعمى ! (٢) ويكون مصيره التمزق !

الحِلمَ .. الحِلمَ أيها الأزواج!

وعلى الزوجين حال الغَيْرة أن يتحليا بالحلم ... وليعلم كل منهما أن كل محبوب يغار ، وأن هذه الغيرة بدافع الحب والخوف على ضياع المحبوب ! ؛ وأنها غيرة صحية وليست مرضية!

* وقد ضرب الرسول ﷺ لنا المثل الأعلى فيما ينبغى أن يتحلى به الأزواج عند الغيرة ، ففى الحديث الذى رواه مسلم والنّسائى عن عائشة – رضى الله عنها – : أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلا ، فجاء فرأى ما أصنع ، فقال: «**أغِرتِ؟**» .

فقلت : وهل مِثلى لا يغار على مثلك؟

وما أكثر ما كانت عائشة – رضى الله عنها – تغار ، لكن الرسول ﷺ كان يقف منها موقف المعلم المهذب الحليم الذى يعطى المثل والقدوة والأسوة!

ويحكى لنا أنس – رضى الله عنه – ما حدث ذات يوم من غيرة عائشة – رضى الله عنها – فيقول:

أهدى بعضُ نساءِ النبىﷺ قصعة فيها ثريد ، وهو فى بيت بعض نسائه ، فضربت عائشة يد الخَادم ، فانكسرت القصعة!

فجعل النبى ﷺ يأخذ الثريد ، ويرده فى القصعة ، ويقول :

«**كلوا ...غارت أمُّكُم!!**»[عشرة النساء للنسائى] .

وفى رواية أخرى أخرجها أبو داود والنسائى:

أن السيدة عائشة ندمت على ذلك ، وقالت:

يارسول الله!

ما كفارةُ ما صَنَعْتُ؟!

قال ﷺ : «**إناء مثل إناء ، وطعام مثل طعام**» .

وبمثل هذا الحلم ، وتلك السماحة يكون العلاج .. ولنا – نحن الأزواجَ – فى رسول الله أسوة حسنة! فهو نعم المعلم ، ونعم القدوة!

الاعتدال فى الغيرة

قال الإمام الغزالى فى الإحياء:

من أدب المعاشرة بين الزوجين : «**الاعتدال فى الغيرة**» :

وهو ألا يتغافل عن مبادئ الأمور التى تُخْشَى غوائلُها.... ولا يبالغ فى إساءة الظن ، والتعنت ، والتجسس على البواطن من غير ريبة ؛ فقد نهى رسول الله ﷺ عن تتبع عورات النساء ، وبين للمسلمين أن الله يبغض الغيرة من غير ريبة وقال[1] :

إن من الغيرة ما يحبه الله ، ومنها ما يبغضه الله ، ومن الخيلاء ما يحبه الله، ومنها ما يبغضه الله ...فالغيرة التى يحبها الله: الغيرة مع الريبة.

والغيرة التى يبغضها الله الغيرة مع غير ريبة....

والخُيَلاءُ التى يحبها الله : خيلاء الرجل عند القتال ، وعند الصدمة.

والخُيَلاَء التى يبغضها الله : الاختيال فى الباطل.

وقال الإمام على رضى الله عنه:

«لا تكثر الغيرة على أهلك ، فترْمَى بالسوء من أجلك»

لابد من الغيرة

*** قال الإمام الغزالى : فأما الغيرة التى فى محلها ، فلا بد منها ، وهى محمودة:**

* قال رسول الله ﷺ :

« إن الله تعالى يغار ... وإن المؤمنَ يغار.

وغيرة الله تعالى أن يأتى المؤمنُ ما حرم الله[2]».

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الجهاد ـ باب الخيلاء فى الحرب ـ ، والنسائى فى سننه ـ كتاب الزكاة باب الاختيال فى الصدقة ، وابن ماجه فى سننه ـ كتاب النكاح ـ باب الغيرة ، وأحمد فى مسنده (٢/٢٤٥، ٢٤٦) ، وابن حبان فى صحيحه (٧/١٢٩) .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب النكاح ـ باب الغيرة ، ومسلم فى صحيحه كتاب التوبة ـ باب غيرة الله تعالى .

إجراء وقائى!

لكيلا يطمع الذى فى قلبه مرض!

* نهى الله نساء نبيه ﷺ عن الخضوع بالقول حتى لايطمع الذى فى قلبه مرض!

ولنسائنا وبناتنا فيهن أسوة حسنة ، ألا وإن الحديث الجادّ يُضفى عليهن من الوقار والاحترام ما يحول دون طمع الطامعين ، ويسد الباب الذى يأتى منه الريح! ومن وسائل الحصانة ضد أولئك الذين فى قلوبهم مرض «**اصطحاب البنات والزوجات والأخوات**» لكيلا يطمع فيهن طامع؛ فإنما يأخذ الذئب من الغنم الشاردة!!

فقد روى أن امرأة من أجمل نساء زمانها قدمت مكة للحج فرآها الشاعر «**عمر بن أبى ربيعة**» ، فوقعت من قلبه ، فدنا منها يكلمها ، فلم تردّ عليه!

فلما كانت الليلة الثانية ، تعرض لها ، فقالت له:

إليك عنى يا هذا ، فإنك فى حرم الله ، وفى أيام عظيمة الحرمة . فلما كانت الليلة الثالثة ، قالت لأخيها:

اخرج معى ، فأرنى المناسك ؛ فإنى لست أعرفها ، فأقبلت وهو معها ، فلما رآها ابن أبى ربيعة هم أن يعرض لها ، فنظر إلى أخيها معها ، فعدل عنها ، فتمثلت بقول النابغة الذبيانى:

تَعْدُو الذئابُ على من لا كِلابَ لَهُ ... وتتقى صولةَ المُسْتَأْسِد الحامى

فلما بلغ أمير المؤمنين المنصور الخبر قال: وددت أنه لم تبق فتاة فى خِدرها إلا سمعت بهذا الحديث ، فأنعم بها من امرأةٍ عفيفة!

وكم نود نحن الآباء فى عصرنا أنه لم يبق أب ، ولم تبق أم إلا وعت هذه القصة ، فاعتقدتها ، وأدركت مغزاها ، وعرفت مرماها ، وتذرعت بشىء من سوء الظن ، فسوء الظن عصمة ، والوقاية خير من العلاج ... وهل هناك علاج بعد عدوان الذئاب .. والاغتصاب[1] ؟!

---

(١) ما أكثر الذئاب البشرية فى أيامنا هذه ، التى انتشرت فيها المخدرات ، فهاموا على وجوههم يبحثون عن فريسة ، وقد غاب عقلهم ، ومات ضميرهم ، وضعف الوازع .. نراهم يتربصون للعدوِ على من لا كلاب له ! ، فهل كتب علينا أن نعيش نعاجا فى دنيا الذئاب ؟! =

وقفة مع النفس قبل فوات الأوان!

من الحكم التي تريح النفس قول حكيم : «**لو نظر كل واحد من الزاوية التي ينظر منها الآخر لاستراح كثير من الناس**» !

ويقول الكاتب إبراهيم عبد القادر المازني رحمة الله عليه:

«الزواج شركة على التحقيق ، ولا يحسب أحد أن الرجل يضع في هذه الشركة أكثر مما تضع المرأة ، وأنه لهذا مغبون فيها ؛ فإن هذا خطأ. فليس السعي للرزق كل ما تقتضيه هذه الشركة وإن المرأة لتبذل حياتها كلها لا جهدها لإنجاح الشركة ، وحسبها الحمل والوضع.

ولو أمكن أن يحمل الرجل لأمكن أن يدرك هول ما تتحمل المرأة في سبيل هذه الشركة!

ولكنه لا يحمل – مع الأسف – فهو في الغالب لا يستطيع أن يقدر نصيب المرأة ، وما يكلفها الزواج ، وما يعرضها له ، ولا كيف تضحى بها الحياة لتملأ الدنيا بمثلي ومثلهم ممن لا يستحقون التضحية!

قال صديقي:

والغيرة ... أليست بلاء؟

قلت : طبعا ... والرجل أيضا يغار ... أليس هذا بلاء فلماذا لاتضع نفسك في موضع المرأة ، وتنظر إلى الأمور من ناحيتها أيضا!

صحيح أن المرأة أسرع إلى الغيرة من الرجل ، وأن غيرتها أحمى ، فبلاؤها أعظم!

ولكن هذه طبيعتها ... ولا حيلة لها فيها ، لأن الغريزة الجنسية في المرأة أقوى منها في الرجل إذ كانت هي مدار حياتها! ثم إن الواحد منا يتقبل أصدقاءه على علاتهم ، ويحتمل أمزجتهم التي تخالف مزاجه ، ويوافق بين رغباته ورغباتهم – وما أكثر ما تتباين ، ويظل مع ذلك صديقهم ، ويظلون هم أصدقاءه ، فلماذا لا يكون هذا حال الزوجين؟! لماذا لا يحتمل كل واحد

= إن الذئاب الحيوانية قد توارت لتفسح المجال للذئاب البشرية التي يصدق عليها قول الشاعر :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوت إنسان فكدت أطير !!

يا قومنا ، أجيبوا داعي الله .. فكلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته ، ألا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم !

منهما الآخر على العلات ، وهما بذلك أولى من الصديقين؟!

ويقول الأستاذ أنيس منصور «فى مواقف» : «أساس السعادة الزوجية العدل ، وليس الشفقة!»

خطوة على طريق العلاج

تخلص من الأثرة والأنانية:

يجب أن نميز بين الأثرة [1] والإيثار ؛ فإن للأثرة أشكالا كثيرة ، وكلما ظننت أنك قضيت عليها القضاء الأخير فى أحد أشكالها بدت أقوى مما تكون فى شكل آخر!

لكنك – على التدريج – ستمتلئ نفسك من التفكير فى معونة غيرك حتى لن تجد زمانا ولا مكانا لأى فكرة بشأن شخصك!

ويجب أن يصدُقَ تمييزُك على وجهٍ آخر.

إن الناسَ كلَّهم عيالُ الله ، وعلينا أن نحب لهم ما نحبُّه لأنفسنا ، ونكرهُ لهم ما نكرهه لأنفسنا وبهذا نريح ونستريح . ونكون ممن قال الله فيهم : ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر : ٩] .

بم يكون الاعتدال فى الغيرة؟

ولعل سائلا يقول : كيف يتسنى لى أن أكون معتدلا فى غيرتى؟!

* وأقول : يستطيع الغيورون على محارمهم أن يكونوا معتدلين إذا اجتنبوا آثم الظن ، وتركوا تجسس بواطن الأمور من غير ما داعية!

ويستطيعون ذلك أيضا بالابتعاد عن العَنَت[2] ، والجرى وراء الأنباء المدسوسة من ذوى الأغراض السيئة فى غير تثبت.

* ويستطيعون ذلك بعدم التغافل عن مبادئ الأمور التى تخشى غوائلها[3] ؛ وتكون مزلقة من مزالق الأخلاق ، وذريعة من ذرائع الفساد التى تجب المبادرة بإحكام سدِّها ، مع معالجة الأمر كله فى روية واتزان ! ، فإذا اكتملت لها هذه المعانى كانت فضيلة حقا.

(١) الأثرة تفضيل النفس على غيرك وحبها ، أما الإيثار فهو تفضيل غيرنا على أنفسنا .

(٢) العنت : المكابرة عناداً . (٣) غوائلها : دواهيها وشرورها ومفاسدها .

حقوق يجب أن تراعى وباب يجب أن يغلق

مما يثير بواعث الغيرة لدى الرجل على امرأته عدم رعايتها للحقوق التى أعطاها الإسلام للرجل على زوجته : **وأولها : حفظ الغيب:**

أول حق من حقوق الزوج على زوجته ذكره القرآن بهذه الألفاظ التى لايمكن ترجمتها إلى أية لغة أخرى:

﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ (٣٤) ﴾ [النساء : ٣٤] .

والمراد بحفظ الغيب هنا : الحفاظ على كل شىء يخص الزوج ، ويكون أمانة عند الزوجة فى أثناء غياب زوجها: فمن ذلك حفظ اسمه ، ونطفته ، وكرامته ، وشرفه وماله ، وأسراره.

وباختصار : كل شىء يخصه ، فإن هى قصرت فى أداء حق من هذه الحقوق فقد فتحت بابا للشر ، وأثارت فى الزوج كوامن الغيرة!

وثانى هذه الحقوق طاعة الزوج:

وقد وضح الرسول ﷺ ذلك بقوله:

«إن لكم عليهن ألا يوطئن فُرُشكم أحدا تكرهونه(١)» .

وبقوله ﷺ :

«خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك ، وإذا أمرتها أطاعتك ، وإذا غبت عنها حفظتك فى مالك ونفسها(٢)» .

وإن لم تفعل فهى عاصية.

لقد جعل الإسلام الزوج قوّاما على زوجته ، وفرض عليه مهرها وحمله مسئولية الإنفاق عليها ، وحمايتها ، وتعهدها من أجل تنظيم حياة الأسرة ، وحفظ أخلاقها ، وحسن المعاشرة فى داخلها ، وعدم إضاعة حق الزوج!

ويقول سبحانه :**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا(١٩)﴾** [النساء : ١٩] .

---

(١) صحيح مسلم ـ خطبة الوداع (٢) أخرجه النسائى فى سننه ، وأخرجه أحمد فى مسنده .

ويقول عز وجل: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ (٢) ﴾ [الطلاق : ٢].

ويقول: ﴿ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ (٦) ﴾ [الطلاق : ٦].

ويقول: ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩) ﴾ [البقرة : ٢٢٩].

تذكرة علاج لمن تستبد بهم الغيرة

وممّا هو مُجرّب فى علاج ما يعترى الغيور من الغضب ، تخفيف حدّته ، وكبح جماحه ما ذكره ابن المقفع فى كتابه : «الأدب الكبير» حيث يقول:

احترس!

احترس من سَوْرة[١] الغضب ، وسَوْرة الحَمِيّة [٢] ، وسورة الحقد[٣] .

وأعْدِدْ لكل شيء من ذلك عُدَّةً[٤] تجاهده[٥] بها من الحِلْم والتفكُّر ، والرَّوِيّة ، وذكر العاقبة ، وطلب الفضيلة[٦] .

واعلم أنك لا تُصيبُ الغلبة إلا بالجهاد....

وأن قلة الإعداد لمدافعة الطبائع المتطلعة هو الاستسلام لها.

وأنه ليس أحد من الناس إلا وفيه من كل طبيعة سوء غريزة.

وإنما التفاضل بين الناس فى مغالبة طبائع السوء!

فأما أن يسلم أحدٌ من أن يكون فيه من تلك الغرائز شيء فليس فى ذلك مطمع!

إلا أن الرجل القوى إذا كابرها بالقمع لها كلما تطلعت[٧] لم يلبث أن يُميتها حتى كأنها ليست فيه ، وهى مع ذلك كامنة كمون النار فى العود والحجر.

---

(١) السَّوْرة (بالسين) : الحدّة ، والسورة ـ أيضا ـ : البطش .والسورة: الوثوب.

(٢) الحَمِيّة : العار والأنفة .

(٣) الحقد : الضغن والعداوة ، ويجمع على أحقاد .

(٤) أعَدَدْ : هيئ . العدة (بضم العين) ما أعددته من مال أو سلاح أو غير ذلك ؛ فالإعداد : هو الاستعداد والتهيؤ للأمر .

(٥) تجاهده : الضمير البارز راجع إلى كل شيء من ذلك أى المذكورات ، وضمير بها للعدة .

(٦) قوله : من الحلم والتفكر .. إلى آخره بيان للعدة .

(٧) كابرها : غالبها . بالقمع : بالقهر والإذلال . تطلعت : استشرفت

فإذا وَجَدَتْ قادحا من علّة أو غَفْلة استَوْرَتْ كما تستورى النارُ عندِ القَدْح[1] فى الحطب، ثم لا يبدأ ضَرها إلا بصاحبها كما لا تبدأ النار إلا بعودِها التى كانت فيه.

الغيرة كما تصورها أمثالنا العامية

وما أكثر ما فيها من خبرة بالنفوس!

فى كتابى : «**اضحك مع الجدات ، وما يدور على ألسنتهن من الأمثال العامية فى جميع المواقف والحالات**» جاء تحت عنوان : «**جدتى والغيرة!**» :

قال الراوى:

* كانت جدتى - بلل الله ثراها وطيَّبه - تحب أن يغار الرجل على زوجته وقريباته ، وتقول:

١ - «اللّى ما يغير.... يصير من الحَمير».

* وتعبِّر جيدا عن مدى شدة غيْرة النساء على أزواجهن ، وتصورها بقولها:

٢ - «أخَذُوا زوجَ الخَرْسَا ... تكلمت»

* وتعبر عما للغيرة من أثر فى نفوس الزوجات فتقول:

٣- «الغيرة مُرّهْ .... والصبر على الله!»

فأين من يصبر حتى يعجز الصبر عن صبره! ثم ماذا بعد الصبر؟!

أيها الرجال رفقا بالقوارير!!

يقول الرسول ﷺ فى الحديث الذى روته عائشة رضى الله عنها:

«**إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه ، ولا نزع من شىء إلا شانه**[2]».

فرفقا بالقوارير أيها الرجال.

واعلموا أن «**رأس الحكمة مخافة الله**[3]!». **وأن الناس كلّهم عيال الله!**

---

(١) القادح : اسم فاعل من قدح بالزند رام الإيراء به . والزند العود الذى يقدح به النار . واستورت : أى طلبت الورى يقال : ورى الزّند كرمى يرى وريا : إذا خرجت ناره ، ويقال فى التعدية : أوريته ، ووريته واستوريته من أبواب : الإفعال والتفعيل والاستفعال . (٢) أخرجه أحمد من حديث عائشة .

(٣) أخرجه ابن لال عن ابن مسعود ، وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة .

من وصايا المجربين فى الغَيرة ... وأقوالهم

من وصايا داود لابنه سليمان عليهما السلام:

«إياك وكثرةَ الغيرة على أهلك من غير شيء ؛ فإن ذلك يورث سوء الظن بالناس ، وإن كانوا برآء!».

وغيرة الرجل على أهله لصيانة عرضه ، وسلامة شرفه ، وللإبقاء على حسن سمعته – خلّة[1] محمودة ، وصفة مشكورة ، وهى طبيعة فى الإنسان ، وفى كثير من الحيوان والطير على شرط أن تكون متئدة حكيمة غير مسرفة.

والقبيح المذموم منها تلك الغيرة الجامحة الحمقاء المسرفة القائمة على سوء الظن ونزغات الشياطين ووساوسهم ، وعلى ما يصوره الوهم والخيال؛ فما تمكنت تلك الغَيرة من قلب رجل إلا أذهلت عقله ، وشتتّت فكره ، وشرّدت لبه ، وكدّرت صفوه ، ونكدت عيشه.

ومن أجل هذا حذر داود ابنه منها لسوء مغبّتها[2] ، وقبح عاقبتها على أنه قد ينجم[3] عن أمثال تلك الغيرة الحمقاء الجامحة المسرفة عكس المراد ، لتجاوزها الحد ، وكل شيء زاد عن حده انقلب إلى ضده ، فليس من المستبعد انشغال قلوب من تكثر الغيرة عليهم بأمور ما كانت لتخطر لهم على بال ، وما كانوا ليتجهوا بأفكارهم إليها لولا الإمعان فى الغيرة ، وقد يقودهم ذلك إلى الوقوع فى المحذور!

فليحذر الذين يبالغون فى الغيرة من غير شيء أن تصيبهم فتنة ، أو يدفعوا الزوجات إلى العناد ، وفعل ما كانوا يحذرون منه!

قالوا فى الغيرة

قال أبو الفرج فى كتاب النساء : قال معاوية:
ثلاث من خصال السُّؤدد[4] :
عدّ منها ترك الإفراط فى الغيرة!

* قال : ونزل قيس بن زهير ببعض العرب ، فقال لهم:
أنا غيور ، وأنا فخور ، وأنا أنف...
* ولكن لا أغار حتى أرى!

---

(١) خلّة : صفة . (٢) عاقبتها . (٣) ينشأ : ويحدث. (٤) السؤدد : السيادة والشرف .

* ولا أفخر حتى أُفعِل!
* ولا آنَف حتى أُضام!

* قال أبو الفرج: فعابوا معاوية بقوله: «**ترك الإفراط فى الغيرة من خصال السؤدد**»!

قال: ولا أرى فيه عيبا؛ فإن الإفراط هو مجاوزة الحد وتعدّيه إلى ظلم المرأة!، ومعاوية هو الذى يقول فيهن: **ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم**!

* وعابوا أيضا قيس بن زهير بقوله: «**لا أغار حتى أرى**»، وأظنه إنما أراد رؤية السبب، لا رؤية المواقعة ... وهو كلام مقبول!

ويعلق الشاعر مسكن الدارمى على قول قيس بن زهير!

«**لا أغار حتى أرى**» فيقول!

وإنى امرؤ لا آلِفُ البيت قاعداً
إلى جنب عِرسِى(١) **، لا أفارقُها شِبرا**
ولا مُقْسِمٌ: لا تبرحُ - الدهرَ - بيتَها
لتَجعَلَهُ قَبْلَ المَماتِ لها قَبْرا
إذا هى لم تَحْصُنْ أَمامَ فِنَائِها
فَلَيْسَ يَنَجِّيها بنائى لها قصرا
ولا حامِلِى ظَنِّى، ولا قولُ قائل
على غَيْرةٍ حتى أُحيطَ به خُبْرَا
فهبنى امرأً راعيتُ مادُمْتُ شاهداً
فكيف إذا ما سرت عن بيتها شهرا(٣)؟!

* ويوجه رسالة إلى الغائر المستشيط(٤) لعله يهدأ فيقول:

أيها الغائرُ المستشيطُ
علام تَغَارُ إذا لم تُغَرْ؟!
تغارُ على الناس أن ينظروا
وهل يفتِنُ المُحْصَنَاتِ(٥) **النَظَر؟!**

---

(١) العِرس - بكسر العين - الزوج. يقال: هو عرسها، وهى عرسه.
(٢) حصنت المرأة حصانة: عفت، وكذلك أحصنت. (٣) أى سافرت.
(٤) المستشيط الذى اشتد غضبه، وتملكه الهياج. (٥) المحصنات: العفيفات.

مـا خَـيْـرُ عِـرْسٍ إذا خِـفْـتَـهـا
وبِتَّ عَلَيْـهَـا شَـدِيدَ الحَـذَرْ؟!
إذا اللهُ لَـمْ يُعْطِهـا عِـفَّـةً
فلن يَنْفَعَ البَـعْلَ سـوطٌ مُـمَـرّ![1]
ومَـن ذَا يُراعِي له عِـرْسَـهُ
إذا ضَـمَّـهُ والمَطِيُّ السَّـفَـرْ؟!

* وقديما قال الأوائل:

سـأترك مـاءكم من غـيـر وِرْدٍ
وذاك لكثـرةِ الوُرّادِ فـيـه
إذا سـقط الذُبَابُ على طعـامٍ
رفـعتُ يدى ونفـسى تشتـهيـه
وتجـتنب الأُسـودُ ورُودَ مـاء
إذا كـان الكلابُ ولَغْنَ فـيـه
ويرتجع الكريمُ خـمـيصَ بطنٍ[2]
ولا يَرْضَى مـساهمـةَ السَّـفيـه

* وما أحسن ما قيل:

قُلْ للذى شَـفَّـه الغـرام بنا
وصاحبُ الغدْرِ غيرُ مَصْحُوبِ
والله لا قـال قـائل أبداً
قـد أكل اللَّيثُ فَـضلَةَ الذيبِ

الغيرة قد تقتل الناس أحيانا!!

جاء فى «جنة الشوك» لعميد الأدب العربى:

قال أحد الأدباء لبعض أصحابه:

أتدرى لم مات فلان؟

قال صاحبه: لا!

* قال الأديب: زعموا أن فلانا غلبه على قلب من أحب!

ثم مضت أسابيع، والتقى الصديقان، وهمَّ أحدهما أن يقول لصاحبه

(١) مبسوط مهيأ للضرب. (٢) خميص بطن: طاويا جائعا.

شيئا ، ولكنه أمسك عن القول ، لأنه ذكر أن الغيْرة قد تقتل الناس أحيانا! ويجرنا ذلك إلى ذكر المزيد من حال من تستبد به الغيرة فمن لا يعرف الشر يقع فيه!!

حال من تستبد به الغيرة!

جاء فى «**محاضرات الراغب الأصبهانى**» ما يأتى:

تسعة لا ينامون:

(١) مُدْنَف لا طبيبَ له (المريض الذى لزمه المرض الشديد) .

(٢) والكثير المال يخاف على ماله!

(٣) والهامّ بدمٍ يسفكه!

(٤) ومتمنّى الشرِّ للناس!

(٥) والمحارب يخاف البيَات! (المفاجأة فى جوف الليل).

(٦) والغارم لا مالَ عنده! (المدين الفقير).

(٧) والعاشق لا ينالُ بُغْيته!

(٨) والمطلّع على السوء من أهله!

(٩) والمغصوب مالُه.

* والغيور قد يكون عاشقا لم ينل بُغْيته فظل ساهراً طوال ليله.

* وقد يطلع على السوء من أهله ، فيفارق النومُ عينيه! ويظل يردد قول القائل:

لا يسلم الشرف الرفيعُ من الأذى

حتى يُراقَ على جوانبه الدمُ

* وقد تغلى الدماء فى عروقه ، ويشتد غضبه ، فلا يهدأ له بال ، ولا يستريح حتى ينتقم لشرفه!

والغيور: قد تجتمع فيه إحدى هذه الصفات التى تحول دون نومه .... وقد تجتمع عليه ثلاث من هذه الصفات ، فإذا هو المدنف العاشق ، المطلع على

السوء من أهله!

وعندئذ يختل توازنه ، ويفقد نفسه! فحذار أن تستبد بك الغيرة ، ولا تعطها زمامك وكن دائما فى موقع القائد الحكيم المتزن!

واعلم أن للغيرة محاسنها كما أن لها مساويها!!

كلمة هادئة: خير الأمور الوسط!

* بين «الجُبن» و«التهور» منزلة هى : **الشجاعة والإقدام**.

*وبين «البُخْل» و«الإسراف» منزلة هى **الكرم**.

* وبين «العفو»و«الانتقام» منزلة هى **العُقوبة**.

*وبين «العَجْز»و«الجهل» منزلة هى **الحكمة**.

* فليكن من أفضل ما تأخذ به نفسك التريثُ والتثبتُ عند النظر فى الفرق بين مُشْتبه الفضائل والرذائل.

واعلم أنك لا تزال كريما حتى تُنفق مالَك فى غير موضعه فإذا أنت مُسْرِف.

وأنك لا تزال حليمًا حتى تغضبَ للباطل ؛ فإذا أنت جَهُول ، وإذا غيرتك يبغضها الله ، وإذا هى ممقوتة مرذولة!

واعلم أنك لا تزال جبانا متبلد الإحساس والمشاعر حتى تُقَاتِلَ عنَ عِرضك وشرفك ومالك وجمالك.

فإذا أنت شجاع غيور! ، وإذا غيرتك يحبها الله!

واعلم أن كل الناس يعرفون «الفضائل» و «الرذائل» ، ويفهمون جيدا ما بينهما من فروق!

وقد قال شاعرنا:

أقْبِل على النفس واستكملْ فضائلَها

فأنت بالنفس لا بالجسم إنسانُ!

ألا ما أبعد الفرق بين عالى الهمة وساقطها .. بين الغيور ومتبلد الإحساس..

وقديما قال شاعرنا:

من يَهُنْ يَسْهُلُ الهوانُ عليه ما لِجُرْحٍ بميّتٍ إيلامُ

صنفان من الناس ، نجدهما فى كثير من المجتمعات وبضدها تتميز الأشياء!
فشتان ما بين عالى الهمة وساقطها!
فعلو الهمة من الأخلاق الفاضلة...
ومن عظم الهمة : الأَنَفَة ، والحَمِيّة ، والغَيْرة المحمودة!
والأنفة: نبوّ النفس عن الأمور الدنيئة ، والنفور منها ، والبعدُ عنها!
والحَمِيّة والغيرة جميعا هما : الغضب عند الإحساس بالنقص.
وإنما تلحق الإنسانَ الغَيْرةُ على الحُرَم ؛ لأن فى التعرض لهن عاراً ومنقصة!
فإن المتعرض للحُرَم من مال ، وأرض ، وعرض مهتضِم لصاحبهن فى غير حق له ! والاهتضام نقيصة!
ويا ويل من تُنْتَقص حُرَماته ولا يَغار لانتقاصها ، وقديما قال شاعرنا:

وأكرم نَفْسى إننى إن أهنتُـها وحقك لم تُكرم على أحد بعدى!

*** ومن عظم الهمة الأنفة من الاهتضام ، ودخول النقص وهذا الخلق مستحسن من جميع الناس.**

ومن الأخلاق الرَّديّة التى تعد نقائص ومعايب:
السفه : وهو ضد الحلم ، وهو سرعة الغضب ، والطيش من يَسير الأمور!
ويتمثل فى المبادرة بالبطش ، والإيقاع بالمؤذى ، والسرف فى العقوبة ، وإظهار الجزع من أدنى ضرر ، والسَّبِّ الفاحش، **وهذا الخلق مستقبح من كل الناس** ؛ وقد أمرنا بضبط النفس ، والتحكم فى غريزة الغضب . حرصا على أن لايفلت زمام العقل فى سلوك غير واع أو غير حكيم. ومن الأخلاق السيئة : **الحسد** ، وهو التألم بما يراه الإنسان لغيره من الخير ، وما يجده فيه من الفضائل ، والاجتهاد فى تجريده من ذلك غيرة منه وحسداً له وحقدا عليه!

وهذا الخلق مكروه ، وقبيح بكل أحد ، وقد نهينا عن الحسد وتمنى زوال نعمة الغير ! ، وليس هذا من أخلاق المؤمن، ففى الحديث الذى أخرجه الحاكم عن أبى هريرة: «**المؤمن يألف ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يُؤلف**»

عِفّ إنْ كنتَ غيُوراً!!

* يقول ابن حزم فى كتابه: «**مداواة النفوس**» أو «**تهذيب الأخلاق**»:

عِـــــفَّ إن كنـــتَ غيُو رًا مازنـــــى قـــطّ غيُورُ

ويقول:

إذا ارتفعت الغيرة ، فأيقن بارتفاع المحبة!

إن الغيرةَ خلق فاضل متركب من النَّجدة والعَدْل ؛ لأن من عَدَل كره أن يتعدى إلى حُرْمَة غيره ، وأن يتعدى غيرُه إلى حُرمته. ومَنْ كانت النجدةُ له طبعاً حدثت فيه عِزّة ، ومن العزة تحدث الأَنَفة من الاهتضام[1] .

أخبرنى بعض من صحبناه فى الدهر عن نفسه : أنه ما عرف الغيرة قط حتى ابتلى بالمحبة فغار!

ولابد من إجراء وقائى ؛ فالوقاية خير من العلاج... وإذا كنا قد تناولنا غيرة الرجال ، وغيرة النساء ، فتعال إلى غيرة الأبناء ..

* * * * *

(١) بخس الناس أشياءهم ، والاعتداء على حقوقهم وحرياتهم .